

التاءات العشرون لتدبر القرآن

نصار بن علي القطامي



الطبعة الأولى
دار الحضارة للنشر والتوزيع

ح دار الحضارة للنشر و التوزيع، ١٤٣٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القطامي، ناصر بن علي بن ناصر

التاءات العشرون لتدبر القرآن. / ناصر بن علي بن ناصر القطامي –

ط١ – الرياض ١٤٣٨هـ

ص ١٤٤؛ ١٤X٢٠

ردمك: ٩-٤٢٧-٥٠٦-٦٠٣-٩٧٨

١- القرآن – القراءات والتجويد أ- العنوان

ديوي ١٣, ٢٨٨ ١٤٣٨/٣٧٨١

رقم الإيداع: ١٤٣٨/٣٧٨١

ردمك: ٩-٤٢٧-٥٠٦-٦٠٣-٩٧٨



الطبعة الأولى

١٤٣٨هـ/٢٠١٧م

دار الحضارة للنشر و التوزيع

ص.ب ١٠٢٨٢٣ الرياض ١١٦٨٥

هاتف: ٢٤١٦١٣٩ ١١ ٠٠٩٦٦ – ٢٤٢٢٥٨ ١١ ٠٠٩٦٦

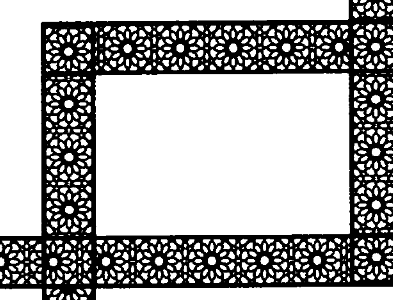
فاكس: ٢٧٠٢٧١٩ ٠٠٩٦٦ – تحويله: ١٠٣

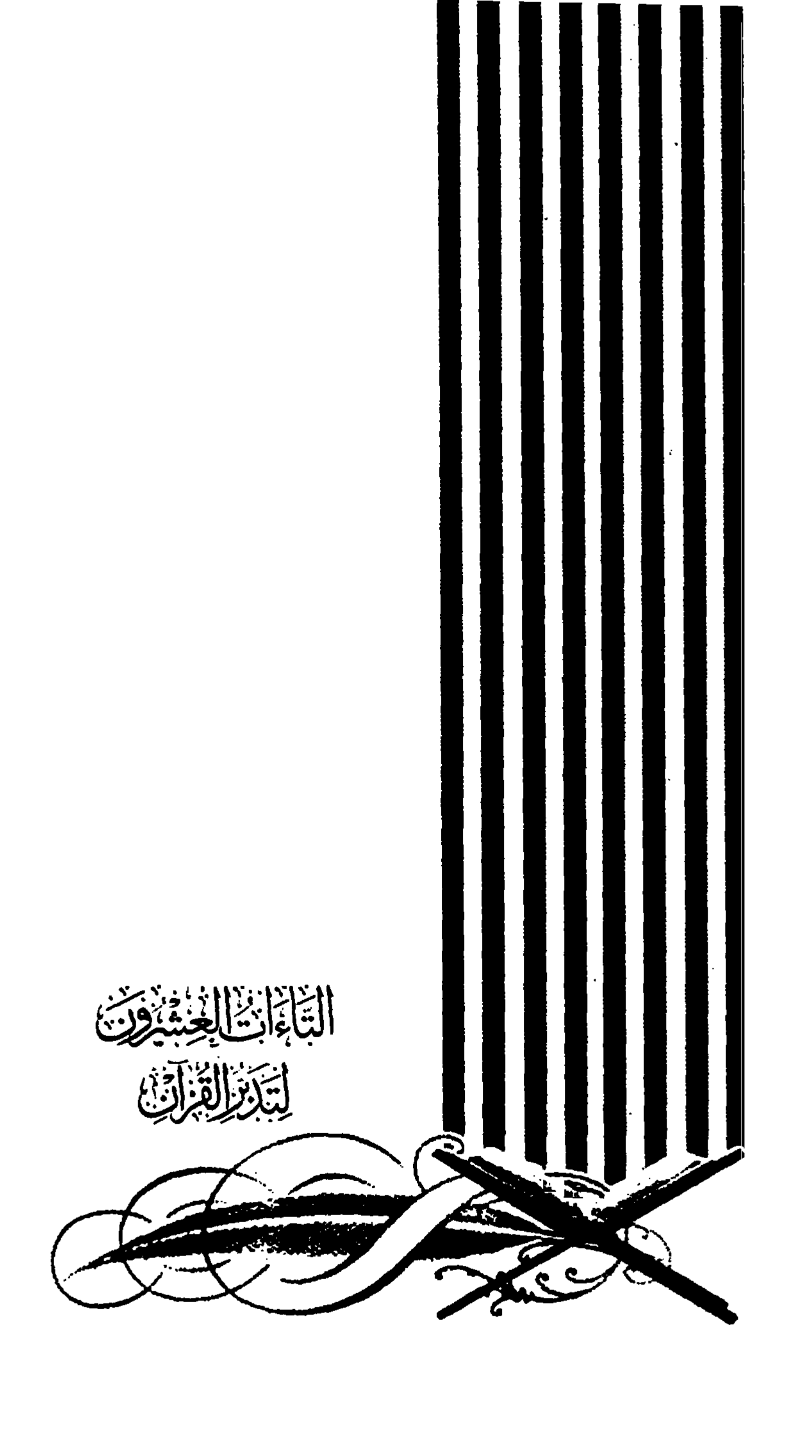
المبيعات: ٥٠٤١٨٠٤٥٣ ٠٠٩٦٦ – الغربية: ٥٠٧٧٧٠٤٢١ ٠٠٩٦٦

موقعنا على الإنترنت www.daralhadarah.com




بسم الله الرحمن الرحيم




التاءات العشرون
لتدبر القرآن



المقدمـــة

الحمدلله فالق الإصباح، جعل كتابه حياة للأرواح، وحادياً لبلاد الأفراح، وسلوة في الأحزان والأتراح، وأصلي وأسلم على من أرسله الله بالهدى الوضّاح، وأزال بأنوار كتابه كل هم فانزاح، وانقشعت به ظلمات الليل بنور الصباح، صلاة وسلاماً دائمين سرمديين كلما همع سحاب، ولمع سراب، وقُرئ كتاب. وبعد ..

فكثيراً ما يُدهشني جلال تأثير القرآن في النفوس، يسْري في الروح فتخشع، ويتغلغل في الفؤاد فيخضع، ويُخاطب العقول فتقنع.

مُعجز البيان، فصيح اللسان، ظاهر البرهان، ناطق بالفرقان، نوره ساطع، وبهائه ناصع، وحقّه لامع، وخبره قاطع.

ومع ذلك كله فإن كثيراً منا قد يشعر أحيانا بعدم الالتذاذ

بتلاوته، والخشوع عند قراءته، تُتلى الآيات على مسامعنا، وتتراءى المشاهد والعبر والعظات أمام أعيننا، فلا تُحرك فينا ساكنا، والسر (والعلم عند الله) في ضعف الفقه بأسرار هذا الكتاب، وتدني الهمم في تعلم معانيه، وقلة العلم في مفاتيح تدبره، ومسالك العيش معه.

وإن من رام الشعور بأثر القرآن في حياته، وأراد أن تَقرّ به عينه في آخرته، فعليه أن يُفرغ وُسعه، ويبذل جهده في أن لا يُجاوز آية حتى يُتقن معناها، ويفهم مبناها.

وفي هذه الأسطر التي بين يديك كلمات موجزة، حول مفاتح تدبر القرآن الكريم، وسُبل العيش في كنفه، عنونتها (بالتاءات العشرون لتدبر القرآن الكريم)، وقد سلكت هذا المسلك طمعا في تيسير فهمها، وتسهيل حفظها، وتقريب مدارستها، والمساهمة في الأخذ بأيدي كل محب للقرآن العظيم لبلوغ هذه الرتبة الجليلة، والمنزلة الرفيعة، وقد سُقت في أول أبواب هذا الكتاب شيئا من فضائل التدبر وأهميته، وصوراً من منهج النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام في تدبر كلام الباري جل وعلا، كما أتبعتها بموانع التدبر وصوارفه، وثمرات التدبر وفوائده،

ثم أعقبتها بسرد عشرين مفتاحا للتدبر، ولذا عنونتها (التاءات العشرون لتدبر القرآن الكريم).

وما تطالعه - أيها الكريم- جُهدٌ مُقل، كُتب على عجل، كان ثمره محاضرات ولقاءات تلفزيونية وإذاعية، عمَدت إلى جمعها في هذه الأسطر، لعلها أن تكون بركة لكاتبها، وذخراً لجامعها، ومفتاحا لكل قاصد وراغب في أن يكون القرآن أنيسَه وجليسَه، وأن يحيا بمعانيه، ويعيش بين مثانيه.

آملاً أن تقرأ هذه الحروف بقلبك قبل عينيك، متأملاً في معانيها، متفكراً في مبانيها، غاضاً الطرف عن قصورها، متلطفاً بتنبيهي عن أي ملاحظة قصُر عنها علمي، أو أخطأ فيها فهمي .

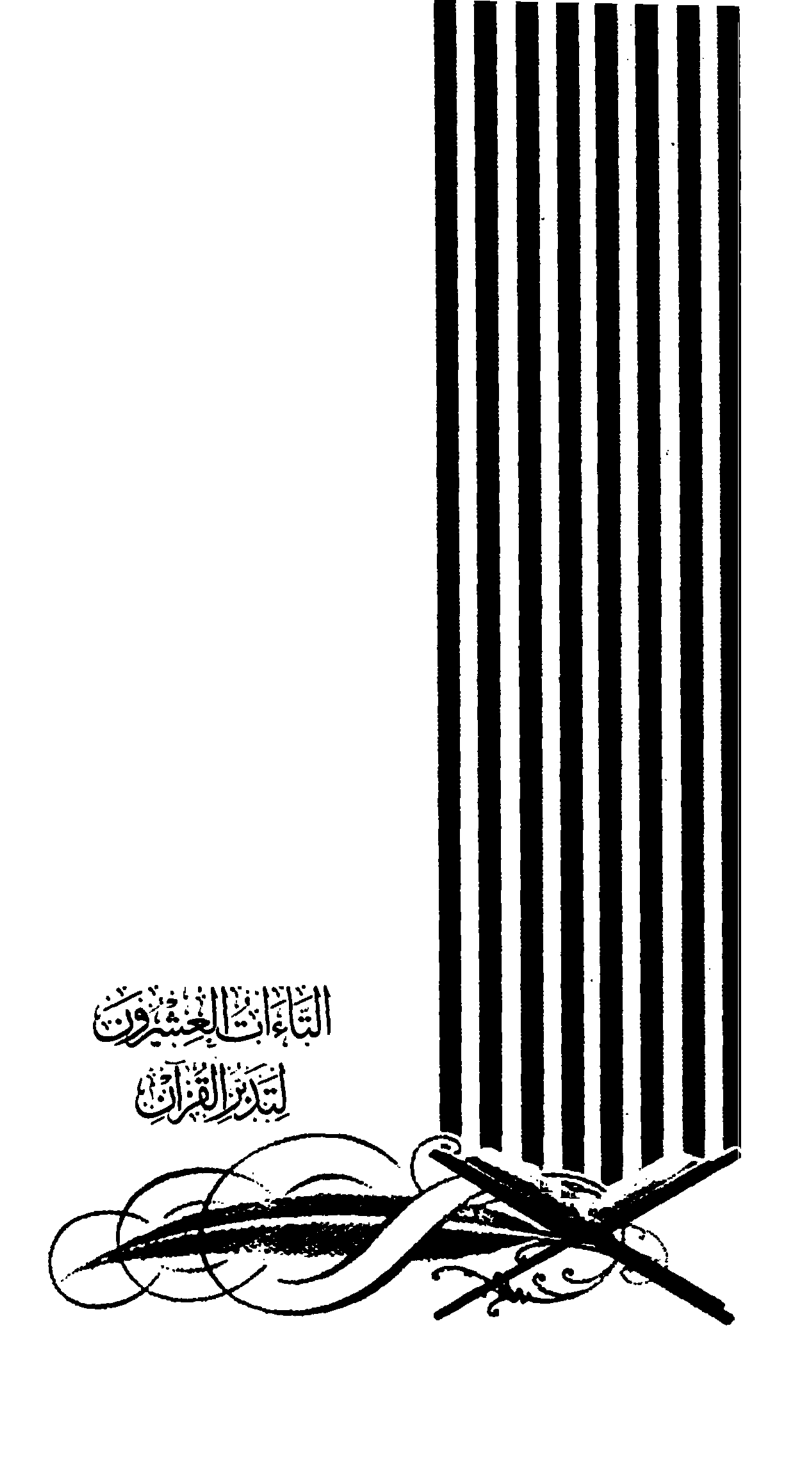
اللهم اغفر الزلة، وأقل العثرة، وأحسن النية.

والحمدالله أولاً وآخراً ،،

ناصر بن علي القطامي

nasser@ayaat.com.sa




اللبنات العشرون
لتدبر القرآن



مفهوم التدبُّر:

التدبُّر لغة: مأخوذ من مادَّة (د ب ر).

قال ابنُ فارسٍ: «أَصلُ هذا البابِ: أَنَّ جُلَّه في قياسٍ واحدٍ، وهو آخرُ الشيءِ وخَلْفُه خلافُ قَبْلِه، فمعظمُ البابِ: أَنَّ الدُّبُرَ خلافُ القُبُلِ»[١].

وقال ابن منظور: «دبَّر الأمر وتدبَّرَه: نظر في عاقبتِه، واستدبرَه: رأى في عاقبتِه ما لم يرَ في صَدرِه، وعرف الأمر تدبُّرًا؛ أي: بأخرةٍ.

والتَّدبير في الأمر: أن تَنْظُرَ إلى ما تَؤُولُ إليه عاقبتُه، والتَّدبُّر في الأمرِ: التَّفكُّر فيه، وفلان ما يدري قُبال الأمرِ مِن دباره؛ أي: أوَّله مِن آخرِه، ويُقال: إنَّ فلانًا لوِ استقبلَ مِن أَمرِه ما استدبرَه؛ لهُدِيَ لوجهةِ أَمرِه؛ أي: لو عَلِمَ في بدءِ أَمرِه ما عَلِمَه في آخرِه؛ لاسترشدَ لِأَمْرِه.

(١) مقاييس اللغة، لابن فارس، ٢/ ٣٢٤.

وقال أكثم بن صيفيٍّ لبنيهِ: يا بنيَّ! لا تتدبَّرُوا أعجازَ أمورٍ قد ولَّت صُدُورُها»[1].

وتدبَّر الأمرَ، وتدبَّر في الأمرِ: تأمَّله وتفكَّر فيه على مَهَلٍ، ونظر في عاقبتِه»[2].

والتَّدَبُّرُ: الفهمُ، وفِي الكِتابِ العَزِيز: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون:٦٨]؛ أي: ألم يَتَفَهَّموا مَا خُوطِبُوا به فِي القُرآنِ، وكذلك قولُه تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النساء:٨٢ ومحمد:٢٤]؛ أَي: أَفَلا يَتَفَكَّرُونَ؛ فيَعتَبِروا.

فالتَّدبُّر؛ هُوَ: التَّفَكُّر والتَّفَهُّم.

وقوله تَعَالى: ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾[النازعات:٥]؛ يَعنِي: ملائِكَةً مُوَكَّلَةً بتَدْبِير أُمورٍ[3].

وعليه يمكنُ القول: إِنَّ للتَّدَبُّرِ معانٍ ودلالات مختلفة، يُمكِنُ جَمْعُها بما يأتي:

(١) لسان العرب، لابن منظور، ٤/ ٢٧٣
(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة، ١/ ٧٢٠.
(٣) تاج العروس، ١١/ ٢٦٥.

١- الذَّهابُ والانصرافُ:

قال الخليل (ت ١٧٠هـ): «ويُقال للقوم في الحرِّ: وَلَّوهُم الدُّبُرَ والإدبار، والإدبارُ: التَّوْلِيةُ نفسُها... وإدبار النُّجومِ، عند الصُّبحِ في آخر اللَّيل إذا أَدبَرَتْ مُوَلِّيَةً نحو المغرب»»[١].

ويقول ابن سِيْدَه (ت ٤٥٨ هـ): «دَبَر الليل والنهار يَدْبُر دُبورًا»[٢]؛ أي: ذهب وولَّى.

٢- مُؤخَّرة الشيء:

قال الخليل: «دُبُر كلِّ شيءٍ خلاف قُبُلِه ما خلا قولهم: جَعَلَ فلانٌ قَولي دَبْرَ أُذُنِه؛ أي: خَلْفَ أُذُنه، ودُبُرَ أُذُنِه»[٣].

٣- النظر في عواقب الأمور وأواخرها:

قال الخليل: «والتَّدبيرُ: نَظَرٌ في عَواقِبِ الأمورِ، وفلانٌ يَتَدَبَّرُ أعجازَ أمورٍ قد وَلَّتْ صدورُها»[٤].

---

(١) العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، مادة (دبر).
(٢) المخصص، ابن سيدة، باب فعلت وأفعلت، ٣/ ٤٤٤.
(٣) العين، مادة (دبر).
(٤)العين، مادة (دبر).

٤- التقاطع والهجران:

قال الخليل: «والتَّدابُر: المُصارَمةُ والهجْرانُ، وهو أن يُوَلِّيَ الرجلُ صاحبَه دُبُرَه، ويُعرِضَ عنه بوَجهِه»(١).

٥- التجـــاوز:

جاء في «الأساس»: «دَبَرَ السهمُ الهدفَ: جازَه، وسقطَ وراءَه»(٢).

٦- التَتَبُّعُ والتعقُّبُ:

يقول الخليل: «والدابِرُ: التابع، ودَبَرَ يَدْبُرُ دَبْرًا؛ أي: تَبعَ الأَثَر، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ﴾ [المدثر:٣٣]؛ أي: وَلَّى ليذهَبَ، ومن قَرَأَ: دَبَرَ؛ أي: تَبعَ النَّهارَ..، واستَدْبَرَ فلان فلانًا من حِينِه؛ أي: حين تَوَلَّى تَبعَ أمرَه»(٣)(٤).

التَّدَبُّرُ في الاصطلاحِ:

هو التفكُّرُ والتأمُّلُ في كلامِ الله تعالى؛ لأجلِ فهمِه، وإدراكِ

---

(١) العين، مادة (دبر).
(٢) أساس البلاغة، مادة (دبر).
(٣) العين، مادة (دبر).
(٤) انظر: «مفهوم التدبر - تحرير وتأصيل» (ص١٧).

مَعانيهِ وحِكَمِه، وما يَخْفَى مِن إشاراتِه وتنبيهاتِه؛ لينتفعَ القلبُ بذلك، فتحصل له الموعظةُ، والاعتبارُ، والخشوعُ، والادِّكارُ.

قال الجُرجانيُّ: «هو النَّظر في عواقبِ الأمور، وهو قريبٌ مِنَ التَّفكُّر؛ إلَّا: أنَّ التَّفكُّرَ: تَصرُّفُ القلبِ بالنَّظر في الدَّليل، والتَّدبُّرُ: تصرُّفه بالنَّظر في العواقبِ»[1].

أمَّا تدبُّر القرآن؛ فهو: تحديقُ ناظرِ القلب إلى معانيهِ، وجمعُ الفكر على تدبُّرِه وتَعقُّلِه[2].

قال صاحب «الكشَّاف»: «تَدبُّرُ الآياتِ: التَّفكُّرُ فيها، والتأمُّلُ الَّذي يُؤدِّي إلى معرفةِ ما يَدْبُر ظاهرها مِنَ التأويلاتِ الصحيحةِ، والمعاني الحسنة»[3].

وقال الخازن: «هو تأمُّلُ معانيهِ، وتفكُّرٌ في حُكمِه، وتَبَصُّرُ ما فيه مِنَ الآياتِ»[4].

وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النساء:٨٢، محمد: ٢٤]؛ «يعني: يَتفكَّرُونَ فيه، وفي مواعظِه، وزواجرِه، وأَصلُ

(١) التعريفات، للجرجاني، ص٥٤.
(٢) انظر: مدارج السالكين، ١/ ٤٧٥.
(٣) تفسير الكشاف، للزمخشري، ٤/ ٩٢.
(٤) لباب التأويل في معاني التنزيل، للإمام الخازن، ١/ ٤٠٢.

التَّدبُّرِ: التَّفَكُّرُ في عاقبةِ الشيءِ، وما يؤولُ إليهِ أمرُه.

وتدبُّر القرآنِ لا يكون إلَّا مع حضورِ القلبِ، وجمعِ الهمِّ وقتَ تلاوتِه..»[١].

قال العلامة محمد بن صالح العثيمين -رحمه الله-: «والتدبُّرُ؛ هو: التَّأَمُّلُ في الألفاظِ للوصولِ إلى معانِيها، فإذا لم يكن ذلك: فاتتِ الحكمةُ مِن إنزالِ القرآنِ، وصارَ مُجرَّدَ ألفاظٍ لا تأثيرَ لها.

ولأنَّه لا يمكن الاتِّعاظُ بما في القرآنِ بدونِ فهم معانيهِ»[٢].

مفهوم التفسير:

التَّفسيرِ لغة: قال ابنُ فارسٍ: «الفاءُ، والسين، والرَّاءُ: كلمةٌ واحدةٌ تدلُّ على بيانِ شيءٍ وإيضاحُه.

من ذلك: الفَسْرُ، يُقال: فَسَرْتُ الشَّيءَ وفَسَّرْتُه.

والفَسْرُ والتَّفْسِرَةُ: نظرُ الطبيبِ إلى الماءِ، وحُكمُه فيهِ»[٣].

فالتفسير لغةً: الإيضاحُ والتبيين، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان:٣٣]؛ أي: بيانًا

(١) لباب التأويل، للخازن، ٤/ ١٤٧.
(٢) انظر: «أصول في التفسير» (١/ ٢٣).
(٣) مقاييس اللغة، ٤/ ٥٠٤.

وتفصيلًا، وهو مأخوذٌ مِنَ الفسرِ؛ وهو: الإبانةُ والكشفُ.

قال صاحب «القاموس»: «الفَسْرُ: الإبانةُ، وكشفُ المُغطَّى؛ كالتفسيرِ، والفعلُ: كضربَ ونصرَ»[1].

وفي «لسان العرب»: «الفَسْرُ: البيانُ: فسَّرَ الشيءَ يُفسِّرُه -بالكسر ويَفسُرُه- بالضم، فَسْرًا.

وفسَّرَه: أبانَه.

والتَّفسيرُ: مثلُه... ثُمَّ قال: الفَسْرُ: كشفُ المغطَّى، والتفسيرُ: كشفُ المرادِ عنِ اللَّفظِ المشكلِ..»[2]»[3].

واصطلاحًا:

قال الزَّركشي: «التَّفسيرُ: علمٌ يُعرَفُ به فَهْمُ كتابِ الله المُنزَّلِ على نَبيِّهِ محمَّدٍ ﷺ، وبيانُ معانيهِ، واستخراجُ أَحكامِه، وحِكَمِه، واستمدادُ ذلك مِن علمِ اللُّغةِ، والنحوِ، والتصريفِ، وعلمِ البيانِ، وأُصولِ الفقهِ، والقراءاتِ، ويحتاج لمعرفةِ أَسبابِ النزولِ، والناسخِ، والمنسوخِ»[4].

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص٤٥٦).
(٢) انظر: «لسان العرب» (٥/ ٥٥).
(٣) انظر: «التفسير والمفسرون» لمحمد السيد حسين الذهبي (١/ ١٢).
(٤) انظر: «البرهان في علوم القرآن» (١/ ١٣).

الفرق بين التَّدبر والتفسير:

وقد فرَّق أهلُ العلم بين التدبُّر والتفسير، فقالوا: التَّدبُّرُ؛ هو: ثمرةُ فهمِ القرآنِ وتفسيرِه؛ يُعنى: بكشف ما وراءَ المعنى الظاهرِ مِنَ المعاني المقاصدِ والهداياتِ، وغايتُه الأولى: الانتفاعُ، والاهتداءُ.

أما التفسيرُ؛ فيُعنى بكشفِ المعنى الظاهرِ في الآياتِ، إذ أَنَّ غايتَه الأولى: الفهمُ لذلك؛ فهو مفتاحٌ مهمٌّ للتدبُّرِ؛ وهو: مِن اختصاصِ أَهلِ العلمِ.

وقد أَجاد الإمامُ ابنُ القيِّمِ في بيان معنى التَّدبُّرِ، وفوارقِه، فقال: «... وهذا يُسمَّى: تفكُّرًا، وتذكُّرًا، ونظرًا، وتأَمُّلًا، واعتبارًا، وتدبُّرًا، واستبصارًا، وهذه معانٍ متقاربةٌ تجتمعُ في شيءٍ، وتتفرقُ في آخر.

ويُسمَّى: تفكُّرًا؛ لأنَّه استعمالُ الفكرةِ في ذلك، وإحضارُه عنده.

ويسمَّى: تذكُّرًا؛ لأنَّه إِحضارٌ للعلمِ الَّذي يجبُ مراعاتُه بعد ذهولِه وغيبتِه عنه، ومنه قولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف:٢٠١].

ويُسمَّى: نظرًا؛ لأنَّه التفاتٌ بالقلبِ إلى المنظورِ فيه.

ويُسمَّى: تأَمُّلًا؛ لأَنَّه مراجعةٌ للنَّظرِ كرَّةً بعد كرَّةٍ، حتى يتجلَّى له، وينكشفَ لقلبِه.

ويُسَمَّى: اعتبارًا، وهو افتعالٌ من العبورِ؛ لأَنَّه يَعْبُرُ منه إلى غيرِه، فَيَعْبُرُ من ذلك الذي قد فكَّرَ فيه إلى معرفةٍ ثالثةٍ، وهي المقصود مِنَ الاعتبارِ، ولهذا يُسَمَّى: عِبْرَةً، وهي على بناءِ الحالاتِ؛ كالجِلْسَةِ، والرِّكْبَةِ، والقِتْلَةِ؛ إيذانًا بأنَّ هذا العلمَ والمعرفةَ قد صار حالًا لصاحبِه، يَعْبُرُ منه إلى المقصودِ به.

قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾ [النازعات:٢٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [آل عمران:١٣].

ويُسمَّى: تدبُّرًا؛ لأَنَّه نَظَرٌ في أَدبارِ الأمورِ؛ وهي: أَواخِرُها وعَواقِبُها، ومنه: تدبُّرُ القولِ...»(١).

التَّدَبُّر، والتَّأَمُّل، والتَّفَكُّر:

«قد يظنُّ المرءُ للوهلةِ الأولى: أَنَّ هذه الصِّفاتِ الثَّلاثَةَ مترادفةٌ؛ أَي: أَنَّها ذاتُ معنًى واحدٍ، ولكن لا يَلبَثُ هذا الظنُّ أَن يتلاشى

(١) مفتاح دار السعادة، لابن القيم ١/ ١٨٢، وينظر: مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، ص: ٢٠٤.

عند التحقيق العلميِّ؛ لأنَّ بينها فروقًا دقيقةً تُحتِّمُ أَن نَجْعَلَها صفاتٍ مُستقلَّةً.

فالتَّأمُّلُ في أصلِ اللُّغة: مأخوذٌ مِن مادَّة (أ م ل) التي تدلُّ على التثبُّت، والانتظار.

والتَّفكُّرُ: مأخوذٌ مِن مادةِ (ف ك ر) التي تدلُّ على تردُّدِ القلبِ في الشَّيء.

أَمَّا التَّدبُّر: فمأخوذٌ مِن مادَّة (د ب ر) التي يُقصَدُ بها: النَّظرُ في عواقبِ الأمورِ.

ومن النَّاحيةِ الاصطلاحيَّةِ نجد التَّفكُّرَ يشيرُ إِلى جولانِ الفكرةِ؛ وهي: القوَّةُ المطرقةُ للعلمِ بحسبِ نظرِ العقلِ، وذلك للإنسانِ دونَ الحيوانِ، كما يقول الرَّاغب[1].

ولا يُقال هذا إِلَّا فيما يمكن أن يحصلَ له صورةٌ في القلبِ..

وقد عرَّفه الجرجانيُّ: بأنَّه تصرُّف القلبِ في معاني الأشياء؛ لدركِ المطلوبِ، ونقل عن بعضِهم: أنَّ الفِكْرَ مقلوبٌ عن الفَرْكِ، لكن يُستعمَلُ الفكرُ في المعاني، وهو فركُ الأمورِ وبَحْثُها طلبًا للوصولِ إلى الحقيقةِ، أمَّا الفركُ؛ فيكونُ في الأمور الحسيَّةِ لا المعنويَّةِ.

---

(١) انظر: «المفردات» (ص٣٧٤).

وهذا دليلٌ على ما ذهبَ إليهِ فقهاءُ اللغة العربيَّةِ مِن دوران المادَّةِ حولَ معنًى عامٍّ واحدٍ، مع اختلافٍ في التفاصيلِ.

ولا يُشتَرَطُ في التَّفكُّرِ: إدامةُ النَّظرِ، ولا أن يتجاوز الحاضرُ إلى ما يَؤُولُ إليهِ الشَّيءُ مُستقبلًا.

أمَّا التَّأمُّلُ: فقد رُوعِيَ فيه: إدامةُ النَّظرِ والتَّثبُّتِ، إذ جاءَ في تعريفِه: أنَّه تدقيقُ النَّظرِ في الكائناتِ بغرض الاتِّعاظ والتَّذكُّرِ؛ أي: إنَّه قد رُوعِيَ إدامةُ الفكرِ واستمراريَّتُه، ومِن ثَمَّ؛ فلا تكونُ النَّظرةُ الواحدةُ تأمُّلًا، وإن كان يمكن أن تكون من قبيل التَّفكُّرِ.

وإذا انتقلنا إلى التَّدبُّر وجدناه يعني اصطلاحًا: النَّظر في عواقبِ الأمورِ، وما تصيرُ إليهِ الأشياءُ؛ أي: إنَّه يتجاوز الحاضر إلى المستقبل؛ لأنَّ التَّدبُّرَ يعني: التَّفكير في دُبُرِ الأمورِ، ومن ثَمَّ عرَّفه الجرجاني بأنَّه: عبارةٌ عن النَّظرِ في عواقبِ الأمورِ[1].

وكلٌّ مِنَ التَّدبُّرِ، والتَّفكُّرِ: مِن عملِ القلبِ وحدَه؛ إلَّا أنَّ التَّفكُّرَ: تَصرُّفُ القلبِ بالنَّظر في الدَّليلِ، والتَّدبُّر: تصرُّفُه بالنَّظرِ في العواقبِ، وكلاهما لا يُشتَرَطُ فيه الدَّيمومةُ أَوِ: الاستمرارُ، بخلاف التَّأمُّلِ.

---

(١) انظر: «التعريفات» (ص٥٦).

وهناك فرق جوهريٌّ آخرُ بين التَّأمُّلِ وكلٍّ مِنَ التَّفكُّرِ والتَّدبُّرِ يتمثَّل في: أنَّ التَّأمُّلَ قد يحدث بالبصرِ وحدَه، أو: بالبصرِ يَعقِبُه التَّفكُّرُ.

أمَّا التَّفكُّرُ والتَّدبُّرُ؛ فبالبصيرةِ وحدها، إذ هما مِن أعمالِ القلبِ.

والخلاصةُ: أنَّ التَّأمُّلَ قد يكونُ بالبصرِ مع استمرارٍ وتأنٍّ يُؤدِّي إلى استخلاصِ العبرةِ، وأنَّ التَّفكُّرَ: جَوَلَانُ الفكرِ في الأمر الذي تكونُ له صورةٌ عقليَّةٌ عن طريقِ الدَّليلِ.

أمَّا التَّدبُّرُ؛ فإنَّه يعني: النَّظرَ العقليَّ إلى عواقبِ الأمورِ.

وهكذا رأينا: أنَّ هذه المعاني الثَّلاثةَ، وإن كانت متقاربةً؛ إلَّا أنَّها ليست واحدةً، وإذا ذكرَ بعضُ أهلِ العلمِ: أنَّها مترادفةٌ؛ فإنَّما يُقصَدُ فقط: التَّرادف الجزئيّ الذي قد يُوجَدُ في بعضِ الأحيانِ دونَ بعضِها الآخرِ»[1].



(١) انظر: «نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ» (٣/ ٨٤٦).
قلت: وفي كتاب: «مفهوم التدبر - تحرير وتأصيل» (ص٢٣) مزيد بيان وتفريق بين هذه الألفاظ.

وجوب تدبر القرآن

الواجبُ على كلِّ مسلم أن يتدبَّر القرآن العظيم، وأن يتفهَّم آياتِه ومعانِيه، وأن يعيشَ معه بروحِه وفِكْره ووجدانِه، كما قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

وقال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]، قال ابنُ كثيرٍ -رحمه الله-: «يقول تعالى آمرًا بتدبُّر القرآنِ وتَفهُّمِه، وناهيًا عن الإعراضِ عنه، فقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]، أي: بل على قلوب أقفالُها، فهي مُطبِقَةٌ لا يَخلُصُ إليها شيءٌ مِن معانيه»[١].

قال العلاَّمة السعدي -رحمه الله- في تفسير هذه الآيات: «أيْ: فهلَّا يتدبَّر هؤلاء المُعرِضون القرآنَ كتاب الله، ويتأمَّلونَه حقَّ التأمُّلِ؛ فإنَّهم لو تدبَّروهُ، لدلَّهم على كلِّ خيرٍ، ولحذَّرهُم من كلِّ شرٍّ، ولملأ قلوبهم مِنَ الإيمانِ، وأفئدتَهم مِنَ الإيقانِ، ولأوصلهم إلى المطالب العاليةِ، والمواهب الغالية، ولبيَّنَ لهمُ الطريقَ الموصلَة

(١) تفسير القرآن العظيم، للإمام ابن كثير، ٧/ ٢٩٦.

إلى الله، وإلى جنَّتِه ومكملاتها، ومُفسِداتها، والطريق الموصلة إلى العذابِ، وبأيِّ شيءٍ تُحْذَر، ولعرَّفهم بربِّهم، وأسمائِه، وصفاتِه، وإحسانِه، ولشوَّقهم إلى الثوابِ الجزيلِ، ورهَّبَهم مِنَ العقابِ الوبيلِ»[1].

فالتدبُّر وسيلةٌ لاستثمار القرآنِ، واستقامة الفكرِ، وصحَّةِ الفهمِ عن الله -تعالى-، وهو مفتاحُ خشوعِ القلبِ، واستحضار عظمةِ الله -تعالى-، وبلوغ أعلى درجات المعرفةِ واليقين.

ولأهميَّةِ التدبُّرِ: حذَّر الحقُّ -سبحانه- من غفلةِ القلوبِ عنِ الخشوعِ لذكرِ الله؛ فقال: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الحديد:١٦].

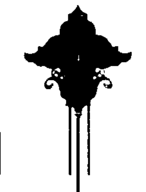
إنَّ الخشوعَ خصيصةٌ مِن خصائصِ هذا القرآن؛ فطبيعتُه: التأثيرُ في الأنفس والمخلوقاتِ كلِّها حتَّى الجامدةَ منها كالجبال.

قال -تعالى-: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر:٢١].

وقال -سبحانه-: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر:٢٣].

---

(١) تفسير الكريم الرحمن، للإمام السعدي، ص ٧٨٨ .



التدبر في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ

۞ آياتُ التَّدبُّرِ في كتابِ الله عز وجل:

١- قولُه تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء:٨٢].

٢- قولُه تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد:٢٤].

٣- قولُه تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنون:٦٨].

٤- قولُه تعالى: ﴿ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ [ص:٢٩].

«جاءَ الأمرُ بتدبُّرِ القرآنِ في أربعةِ مواضعَ من القرآنِ، والعجيبُ: أنَّ آيتَينِ نزلَتْ في سياقِ المنافقين؛ وهما قولُه تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢].

وقــولُه تعــالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد: ٢٤].

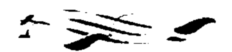
وجاءت آيتانِ في سياقِ الكفَّارِ؛ وهما قولُه تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنون: ٦٨].

وقولُه تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص: ٢٩].

وليس نزولُ الآيةِ في سياق غيرِ المؤمنينَ؛ يعني: أنَّ المؤمنينَ لا يُطلبُ منهم التَّدبُّرُ، بل هم مأمورونَ به، وداخلونَ في الخطابِ من باب أولى؛ لأنَّهم أهلُ الانتفاعِ بتدبُّرِ القرآنِ، وإنَّما المرادُ هنا: بيانُ مَن نزلت بشأنِه الآياتُ، دونَ بيان صحَّةِ دخولِ المؤمنينَ في الخطابِ، والله أعلمُ.

والآياتُ الآمرةُ بالتَّدبُّرِ منها ما جاءَ على شيءٍ مخصوصٍ؛ كقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النِّساء: ٨٢].

ومنها ما جاءَ مطلَقًا بالتَّدبُّرِ العامِّ؛ كقوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص: ٢٩]»[١].



---

(١) انظر: «مفهوم التدبر - تحرير وتأصيل» (ص٧٠).



فوائد تدبر القرآن وأهميته

الهدف مِن إنزالِ القرآن الكريم إلى الناس كافَّةً؛ هو: أن يكون القرآنُ الكريمُ للناسِ مِنهاجَ حياةٍ، وطريقَ هدايةٍ للنَّاسِ، وهذا لا يكونُ إلَّا بالتزامِه، والتمسُّكِ بأَحكامِه، وتلاوتِه، حتى يسيطرَ القرآنُ الكريمُ على قلبِ وعقلِ الإنسانِ، وهذا لا يكون إلَّا حينما يُتدَبَّرُ في آياتِ الله تعالى، فتخترقُ تلك الآياتُ حواجزَ الحسِّ والرُّوحِ، وترشق في القلبِ مُباشرةً، وتلك هي الغايةُ الكبرى مِن إنزالِ القرآنِ إلى الناسِ.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾

[الأنفال: ٢ - ٤].

وقد أمرَ اللهُ تعالى بتدبُّرِ القرآنِ كلِّهِ، قال شيخُ الإسلامِ ابنُ

تَيميَّةَ -رحمه الله-: «وقد أَمرَ اللهُ بتدبُّرِ كتابِه، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص:٢٩]، ولم يَقُلْ: بعضَ آياتِه.

وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ [النساء: ٨٢، محمد: ٢٤].

وقال: ﴿أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ﴾ [المؤمنون:٦٨]، وأمثالُ ذلك في النُّصوصِ الَّتي تُبيِّنُ: أَنَّ الله يُحِبُّ أَن يتدبَّرَ الناسُ القرآنَ كلَّه، وأَنَّه جعلَه نورًا وهدًى لعبادِه»[1].

وقال -رحمه الله- بعد ذكرِ آياتِ التَّدبُّرِ: «فإذا كان قد حضَّ الكُفَّارَ والمنافقينَ على تَدَبُّرِه: عُلِمَ أَنَّ معانيهِ مما يُمكِنُ الكُفَّارَ والمنافقينَ فَهْمُها ومَعْرِفَتُها، فكيفَ لا يكونُ ذلك مُمكِنًا للمؤمنينَ، وهذا يُبيِّنُ: أَنَّ معانيهِ كانت معروفةً بيِّنَةً لهم»[2].

وقال -رحمه الله- بعد قوله تعالى: ﴿أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ﴾ [المؤمنون:٦٨]: «وتدبُّرُ الكلامِ بدونِ فَهمِ معانيهِ لا يُمكِنُ.

وكذلكَ قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [يوسف:٢]، وعَقْلُ الكلامِ مُتضمِّنٌ لفهمِه.

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٤/ ٧٠).
(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (/ ١٥٧).

ومن المعلوم: أَنَّ كلَّ كلامٍ؛ فالمقصودُ منه فهمُ معانيهِ دون مُجرَّدِ أَلفاظِه، فالقرآنُ أَولى بذلك.

وأَيضًا: فالعادةُ تَمنَعُ أَن يقرأَ قومٌ كتابًا في فنٍّ مِنَ العلمِ؛ كالطِّبِّ والحسابِ، ولا يَسْتَشْرِحُوهُ، فكيف بكلامِ الله الذي هو عِصْمَتُهم، وبه نجاتُهم وسعادتُهم، وقيامُ دينِهم ودُنياهُم؟»[1].

قال العلَّامة ابن قيم الجوزية: «وأَمَّا التأَمُّلُ في القرآنِ؛ فهو تحديقُ ناظرِ القلبِ إلى معانيهِ، وجمع الفِكْرِ على تَدَبُّرِه وتَعَقُّلِه، وهو المقصودُ بإنزالِه، لا مجرَّدُ تلاوتِه بلا فهمٍ، ولا تَدبُّرٍ.

قال اللهُ تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ﴾ [المؤمنون: ٦٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [الزخرف:٣].

وقال الحسن: «نزلَ القرآنُ لِيُتَدبَّرَ، ويُعمَلَ بهِ؛ فاتَّخِذُوا تلاوتَه عملًا».

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٣/ ٣٣٢).

فليس شيءٌ أنفعَ للعبدِ في معاشِه ومعادِه، وأقربَ إلى نجاتِه مِن تَدبُّرِ القرآنِ، وإطالةِ التَّأمُّلِ فيه، وجمعِ الفكرِ على معاني آياتِه؛ فإنَّها تُطلِعُ العبدَ على معالمِ الخيرِ والشرِّ بحذافيرِهما، وعلى طُرُقاتِهما وأسبابِهما وغاياتِهما وثمراتِهما، ومآلِ أهلِهما، وتَتُلُّ في يدِه مفاتيحَ كنوزِ السعادةِ، والعلومِ النافعةِ، وتُثبِّتُ قواعدَ الإيمانِ في قلبِه، وتُشَيِّدُ بنيانَه، وتُوَطِّدُ أركانَه، وتُريهِ صورةَ الدُّنيا والآخرةَ، والجنَّةَ والنارَ في قلبِه، وتُحضِرُه بين الأممِ، وتُرِيهِ أيَّامَ الله فيهم، وتُبَصِّرُه مواقعَ العِبَرِ، وتُشْهِدُه عدلَ الله وفضلَه، وتُعَرِّفُه ذاتَه، وأسماءَه، وصفاتَه، وأفعالَه، وما يُحِبُّه وما يُبْغِضُه، وصراطَه الموصِلَ إليهِ، وما لسالكيهِ بعد الوصولِ والقدومِ عليه، وقواطِعَ الطريقِ وآفاتِها، وتُعَرِّفُه النفسَ وصفاتِها، ومفسداتِ الأعمالِ ومُصَحِّحاتِها، وتُعَرِّفُه طريقَ أهلِ الجنَّةِ وأهلِ النارِ وأعمالَهم، وأحوالَهم وسيماهم، ومراتبَ أهلِ السعادةِ، وأهلِ الشقاوةِ، وأقسامَ الخلقِ واجتماعَهم فيما يجتمعونَ فيه، وافتراقَهم فيما يفترقونَ فيه.

وبالجملةِ: تُعَرِّفُه الرَّبَّ المدعُوَّ إليهِ، وطريقَ الوصولِ إليهِ، وما له مِنَ الكرامةِ إذا قَدِمَ عليه.

وتُعَرِّفُه في مقابلِ ذلك ثلاثةً أُخرى:

ما يدعو إليه الشيطانُ.

والطريقُ الموصلةُ إليهِ.

وما للمستجيبِ لدعوتِه مِنَ الإهانةِ والعذابِ بعد الوصولِ إليهِ.

فهذه ستة أُمورٍ ضروريٌّ للعبدِ مَعرِفَتُها، ومشاهدَتُها، ومطالَعَتُها، فتُشْهِدُه الآخرةُ حتَّى كأنَّه فيها، وتُغَيِّبُه عن الدنيا حتَّى كأنه ليس فيها، وتميز له بين الحقِّ والباطلِ في كلِّ ما اختلف فيه العالم، فتُرِيهِ الحقَّ حقًّا، والباطلَ باطلًا، وتعطيه فرقانًا ونورًا يُفَرِّقُ به بين الهدى والضلال، والغيِّ والرشادِ، وتعطيه قوةً في قلبِه، وحياةً، وسعةً، وانشراحًا، وبهجةً، وسرورًا، فيصيرُ في شَأْنٍ، والناسُ في شَأْنٍ آخرَ»[1].

فعُلِمَ مِن هذا كلِّه: أَنَّ التدبُّرَ هو المقصودُ مِن إنزالِ القرآنِ الكريمِ، وأَنَّه مِن وسائلِ التَّفقُّهِ في الدِّينِ، والعلمِ بالحلالِ والحرامِ.

قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص:٢٩].

وصِفَةُ ذلك: أَن يَشْغَلَ قلبَه بالتَّفَكُّرِ في معنى ما يَلْفِظُ به، فيعرف معنى كلِّ آيةٍ، ويتأمَّلُ الأوامرَ والنَّواهي، ويعتقد قبولَ ذلك.

---

(١) انظر: «مدارج السالكين» (١/ ٤٤٩).

فإن كان مما قَصَّرَ عنه فيما مضى: اعتذر واستغفرَ.

وإذا مرَّ بآيةِ رحمةٍ: استبشرَ وسألَ.

أو: عذابٍ: أشْفَقَ وتَعوَّذَ.

أو: تنزيهٍ: نزَّهَ وعظَّمَ.

أو: دُعاءٍ: تضرَّعَ وطلَبَ[1].

فلو عَلِمَ الناسُ ما في قراءةِ القرآنِ بالتدبُّرِ؛ لاشتغلوا بها عن كلِّ ما سواها، فإذا قرأه بِتَفَكُّرٍ حتَّى مرَّ بآيةٍ وهو محتاجٌ إليها في شفاءِ قَلبِه: كرَّرَها ولو مائةَ مرَّةٍ، ولو ليلة، فقراءةُ آيةٍ بتفكُّرٍ وتَفهُّمٍ خيرٌ مِن قراءةِ خَتمةٍ بغير تدبُّرٍ وتَفهُّمٍ، وأنفعُ للقلبِ وأدعى إلى حصولِ الإيمانِ، وذوقِ حلاوةِ القرآنِ[2].

وهذا الإمامُ ابنُ القيِّمِ -رحمه الله- يذكرُ: أنَّ تدبُّرَ القرآنِ مع الخشوعِ عند قراءتِه هو المقصودُ والمطلوبُ، فبهِ تَنْشَرِحُ الصدورُ، وتستنيرُ القلوبُ، قال -رحمه الله-: «إذا أردتَ الانتفاعَ بالقرآن؛ فاجْمَعْ قلبَكَ عند تلاوتِه، وسماعِه، وألْقِ سمعكَ، واحْضُر حضورَ مَن يخاطبه به مَن تكلَّمَ به منه إليه، فتمامُ التأثيرِ موقوفٌ على:

---

(١) المدخل لدراسة القرآن الكريم، ص:٤٣٣، والموسوعة القرآنية، ٢/ ١١٥.
(٢) مفتاح دار السعادة، لابن القيم، ص٢٠٤.

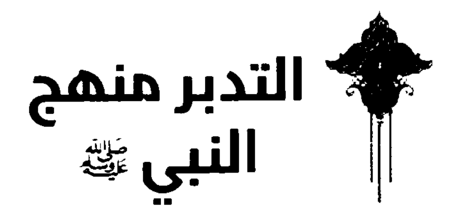
مُؤثِّرٍ مُقْتَضٍ، ومحلٍّ قابلٍ، وشرطٍ لحصولِ الأثرِ، وانتفاءُ المانعِ الذي يمنعُ منه، وقد تضمَّن ذلك كلَّه قولُه تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق:٣٧].

وهذا إِشارةٌ إلى المانعِ مِن حصولِ التأثير، وهو سهو القلبِ وغيبتُه عمَّا يُقالُ له، والنظرُ فيه، وتأمُّله.

فإذا حصلَ المؤثِّرُ -وهو: القرآن-، والمحل القابل -وهو: القلب الحيُّ-، ووُجِدَ الشرطُ -وهو الإصغاء-، وانتفى المانع -وهو اشتغالُ القلبِ وذهولُه عن معنى الخطابِ، وانصرافُه عنه إلى شيءٍ آخر-: حصلَ الأثرُ؛ وهو: الانتفاعُ، والتذكُّر»[1].



(١) الفوائد، لابن القيم، ص ١٥٦.



التدبر منهج النبي ﷺ

تدبُّرُ القرآنِ منهجُ نبيِّنا محمَّدٍ ﷺ، وهو منهجُ الصَّحابةِ مِن بعدِه -رضي الله عنهم-.

فعنِ ابنِ عبَّاسٍ -رضي الله عنه- في مدارسةِ النبيِّ ﷺ للقرآنِ في رمضان...: «وكان يَلقاهُ في كلِّ ليلةٍ مِن رمضانَ؛ فيُدارِسُه القرآنَ»[1].

والمدارسةُ ليست مجرَّدَ التلاوةِ والضَّبطِ فقط، بل هي تتعلَّقُ بالحروفِ والمعاني.

وفي «صحيح مسلم»: أَنَّ عائشةَ قيل لها: يا أُمَّ المؤمنينَ: أَنبِئيني عن خُلُقِ رسولِ الله ﷺ، قالتْ: «أَلَسْتَ تَقرَأُ الْقُرْآنَ؟!»، قُلْتُ: بَلَى، قالت: «فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ الله ﷺ كانَ: الْقُرْآنَ»[2].

---

(١) صحيح البخاري، ١/ ٦، رقم (٦)، كتاب بدء الوحي، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ.

(٢) صحيح مسلم، ١/ ٥١٢، رقم (٧٤٦)، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، بَابُ جَامِعِ صَلَاةِ اللَّيْلِ، وَمَنْ نَامَ عَنْهُ أَوْ مَرِضَ.

قال النَّوويُّ: «معناهُ: العملُ به، والوقوفُ عندَ حُدُودِهِ، والتَّأَدُّبُ بِآدابِه، والاعتبارُ بأَمثالِهِ وقَصَصِهِ، وتَدَبُّرُهُ، وَحُسْنُ تلاوتِهِ»[1].

فكان رسولُ الله ﷺ إذا شرع في قراءةِ القرآنِ: تدبَّر وخشعَ وتفكَّرَ.

ورُوِيَ عن عوفِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه؛ أنَّه قال: قُمْتُ مع رسولِ الله ﷺ، فَبَدَأَ فاستاكَ، ثُمَّ توضَّأَ، ثُمَّ قامَ يُصَلِّي، وقُمْتُ معهُ، فبدَأَ؛ فَاسْتَفْتَحَ البقرَةَ، لا يَمُرُّ بآيَةِ رحمةٍ إِلَّا وقفَ فسأَلَ، ولا يمُرُّ بآيةِ عذابٍ إلَّا وقفَ يتعَوَّذُ، ثُمَّ رَكَعَ؛ فمكثَ راكعًا بقدْرِ قيامِهِ، يقولُ في رُكُوعِهِ: «سُبْحَانَ ذِي الجَبَرُوتِ والمَلَكُوتِ، والْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ»، ثُمَّ قرأَ آلَ عمرانَ، ثُمَّ سُورَةً، ففعلَ مثلَ ذلك[2].

قال النَّوويُّ: «قولُه: «يقرَأُ مُتَرَسِّلًا، إذا مَرَّ بآيةٍ فيها تَسْبِيحٌ: سَبَّحَ، وإذا مرَّ بِسُؤَالٍ: سَأَلَ، وإذا مَرَّ بتعوُّذٍ: تعوَّذَ»:

فيه استحبابُ هذهِ الأُمُورِ لِكُلِّ قَارِئٍ في الصَّلاةِ وغيرِها، ومذهبُنا: استحبابُه للإمامِ والمأمُومِ والمُنْفرِدِ»[3].

---

(١) شرح النووي على مسلم، ٦/ ٢٦.

(٢) أخرجه أبو داود، ١/ ٢٣٠، رقم (٨٧٣)، كتاب الصلاة، بابُ ما يَقُولُ الرَّجُلُ في رُكُوعِهِ وسُجُودِهِ، والنسائي، ٢/ ٢٢٣، رقم (١١٣٢)، كتاب الصلاة، جامع ما جاء في القرآن، باب الدعاء في السجود، وأحمد في المسند، ٣٩/ ٤٠٥، وقال الألباني: صحيح.

(٣) شرح النووي على مسلم، ٦/ ٦٢.

نماذج من تدبر النبي ﷺ للقرآن

للقرآنِ أثرٌ كبيرٌ على قلبِ النبيِّ ﷺ وصحابتِه الكرامِ، وعلى كلِّ مَن جاء بعدهم من التابعين وتابعيهم، ممن فَقُهَ الكتابَ وعقلَه، وتدبَّرَه.

وإليك بعضَ الأمثلةِ على ذلك:

أولًا: قولُه تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤١ – ٤٢].

فعن عبدِ الله بنِ مَسعودٍ رضي الله عنه، قال: قال لي رسولُ الله ﷺ: «اقْرَأْ عَلَيَّ»، فقلتُ: يا رسولَ الله! آقرأُ عليكَ، وعليكَ أُنْزِلَ؟! قال: «نَعَمْ؛ إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِن غيري»، فقرأتُ سورةَ النِّساءِ حتَّى أتيتُ إلى هذه الآيةِ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء:٤١]، فقال:

«حَسْبُكَ الآنَ»[١].

قال الإمام النووي -رحمه الله-: «البكاءُ عند قراءةِ القرآنِ صفةُ العارفين، وشعارُ الصالحين، قال اللهُ تعالى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٩]، ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨].

وفي الحديثِ: استماعُ قراءةِ القرآن، والإصغاءُ إليهِ، والتدبُّرُ فيها، واستحبابُ طلبِ القراءة مِنَ الغيرِ؛ ليستمعَ له، وهو أبلغُ في التَّفهُّمِ والتدبُّرِ مِن قراءتِه بنفسِه»[٢].

ثانيًا: صحَّ عنِ النبيِّ ﷺ: أنَّه قامَ بآيةٍ يُرَدِّدُها حتَّى أَصبحَ، وهي قولُه تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨].

فعن أَبي ذرٍّ رضي الله عنه، قال: صلَّى النبيُّ ﷺ ذاتَ ليلةٍ، فقرأَ بآيةٍ حتَّى أَصبحَ، يركعُ بها، ويَسجدُ بها: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]، فلمَّا أَصبحَ، قلتُ: يا رسولَ الله! ما زلتَ تقرأُ هذه الآية حتَّى أصبحتَ، تركعُ بها، وتسجدُ بها؟ قال: «إِنِّي سألتُ ربِّي -عزَّ وجلَّ- الشفاعة

---

(١) خرجه البخاري (٥٠٥٠).

(٢) انظر: «المجموع شرح المهذب» (٢/ ١٦٤).

لأُمَّتِي؛ فأَعْطانِيها، وهي نائلةٌ -إن شاء الله- لمن لا يُشرِكُ بالله شيئًا»[1].

قال ابنُ كثيرٍ -رحمه الله-: «هذا الكلامُ يتضمَّنُ ردَّ المشيئةِ إلى الله عز وجل؛ فإِنَّه الفعَّالُ لما يشاءُ، الَّذي لا يُسأَلُ عمَّا يفعلُ وهم يُسأَلُونَ.

ويتضمَّن التبرِّي مِنَ النصارى الذين كذَبُوا على الله وعلى رسولِه، وجعلوا لله ندًّا، وصاحبةً، وولدًا، تعالى اللهُ عمَّا يقولون علوًّا كبيرًا.

وهذه الآيةُ لها شأنٌ عظيمٌ، ونبأٌ عجيبٌ، وقد ورد في الحديث: أَنَّ النبيَّ ﷺ قام بها ليلةً حتَّى الصباح، يُرَدِّدُها»[2].

قلت: وهذا شيء قليل اخترتُه لكم، مما نُقل إلينا مِن أثر وقعِ القرآن على قلب النبي محمد ﷺ.

◉ أمَّا الصحابةُ والتابعون ومَن تبعهم بإحسان رضوان الله عليهم؛ فقد فهموا الأوامرَ لتدبُّرِ ما يُتلَى مِنَ القرآن، وامتثلوا هدي النبي ﷺ وسُنَّتَه الشريفة.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣١٧٦٧)، والإمام أحمد في «مسنده» (٢١٣٢٨)، وإسناده حسن.

(٢) انظر: «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٣/ ٢٣٣ - ٢٣٤).

قال الإمامُ النوويُّ: «والأحاديث فيه -أي: في التدبُّرِ، والخشوعِ عند التلاوة- كثيرةٌ، وأقاويل السلفِ فيه مشهورةٌ.

وقد بات جماعاتٌ مِنَ السلفِ يتلونَ آيةً واحدةً يتدبَّرُونها ويُرَدِّدُونها إلى الصباحِ»[1].

وإليك بعضَ الأمثلةِ على ذلك:

أولًا: تدبر الصحابة رضي الله عنهم:

١ - عن عائشةَ رضي الله عنها، عن أبيها أبي بكر الصديق رضي الله عنهما: أنَّه كان ذا رقَّةٍ وحساسيةٍ، ولا يَمْلِكُ نفسَه مِنَ البكاءِ عند تلاوةِ القرآنِ، قالت: «إنَّ أبا بكر رجلٌ رقيقٌ»، وفي رواية: «أَسِيفٌ»، وفي روايةٍ: «كان أبو بكر رجلًا بكَّاءً؛ لا يملكُ عينيهِ إذا قرأَ القرآنَ».

وفي حديث عائشةَ -رضي الله عنها- أنَّها قالت للنبيِّ ﷺ حين أمرَ أَبا بكرٍ بالصلاةِ في مَرضِه: إنَّ أَبا بكر رجلٍ أَسِيفٌ، فمتى ما يَقُمْ مقامَك يَغْلِبُه البكاءُ -أي: سريعُ البكاء والحزن-، وقيل: هو الرقيق[2].

---

(١) انظر: «التبيان في آداب حملة القرآن» (ص٨٣).
(٢) أخرجه البخاري (٦٦٤)، ومسلم (٤١٨).

قال أبو عُبيدٍ: «الأسيف: السريعُ الحزنِ والكآبة»[1].

٢- عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ رجلًا قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: هِيْ يا ابن الخطاب! فوالله ما تعطينا الجزلَ، ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمرُ حتى همَّ به، فقال له أحدُ أصحابِه: يا أمير المؤمنين! إنَّ اللهَ -عزَّ وجلَّ- قال لنبيِّه ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف:١٩٩]، وإن هذا من الجاهلين، قال: فوالله ما جاوزها عمرُ حين تلاها عليه، وكان وقَّافًا عند كتاب الله عز وجل»[2].

٣- وعن عبَّاد بن حمزة، قال: دخلتُ على أسماءَ وهي تقرأُ: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ [الطور:٢٧]، قال: فوقَفَتْ عليها؛ فجعلَتْ تستعيذُ وتدعو»[3].

ثانيًا: تدبر التابعين -رحمهم الله-:

١- قرأ الحارثُ بنُ سويدٍ -رحمه الله- قولَه تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة:١]، حتى بلغ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾

(١) انظر: «غريب الحديث» لأبي عُبيد القاسم بن سلام (١/ ١٥٩).
(٢) أخرجه البخاري ١٥/ ٢٣٨ رقم ٤٦٤٢.
(٣) مصنف ابن أبي شيبة (٢/ ٢٥).

[الزلزلة:٧-٨] فبكى، ثم قال: إنَّ هذا الإحصاءَ شديدٌ، إنَّ عذابَ الآخرةِ لشديد.

وكان الحارثُ بن سويد إذا شتمَه الرجلُ يقول: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة:٧-٨]، كُلُّ ذلك يُحصى.

٢- كان إبراهيم النَّخَعي -رحمه الله- إذا سمع قول الله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ [الانشقاق:١] اضطرب حتَّى تَضْطَرِبَ أوصالُه.

٣- قرأ عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- بالناس ذات ليلة قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ [الليل:١]، فلما بلغ: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ [الليل:١٤] خنقته العبرة، فلم يستطع أن ينفذها، فرجع حتى إذا بلغها: خنقته العبرة، فلم يستطع أن ينفذها فتركها، وقرأ سورة غيرها.

والأمثلة على ذلك في سير السلف الصالحين كثيرة جدًّا!



حاجة القلب إلى تدبر القرآن

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى:٥٢].

قال ابن سعدي -رحمه الله-: «وهو هذا القرآن الكريم، سمّاه روحًا؛ لأنَّ الرُّوحَ يَحْيَى بها الجسدُ، والقرآنُ تحيا به القلوبُ والأرواحُ»(١).

والقلبُ دائمًا في حاجةٍ إلى أنْ يتدبَّر القرآنَ، ويعي آياته، ويستهدي بنوره، ويسترشد بتعاليمه، قال اللهُ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:٥٧].

قال الإمام الطبري: «جعله اللهُ للمؤمنين شفاءً، يستشفون

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص ٧٦٢.

بمواعظه من الأدواء العارضة لصدورهم من وَساوس الشيطان وَخطراته، فيَكفيهم ويغنيهم عن كل ما عداه من المواعظ ببيان آياته»[1].

وقال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله: «القرآن حياة القلوب، وشفاء لما في الصدور... فبالجملة: فلا شيء أنفعُ للقلبِ من قراءة القرآن بالتدبُّرِ، والتفكُّر... وهذا الذي يُورِثُ المحبةَ، والشوقَ، والخوفَ، والرجاءَ، والإنابةَ، والتوكُّلَ، والرضا، والتفويض، والشكر، والصبر، وسائر الأحوال التي بها حياة القلب وكماله.

وكذلك يزجر عن جميع الصفات والأفعال المذمومة التي بها فساد القلب وهلاكه، فلو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبر؛ لاشتغلوا بها عن كلِّ ما سواها»[2].



(١) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، ١/ ٦٧.
(٢) مفتاح دار السعادة، للإمام ابن القيم، ١/ ١٨٧.

الثناء على متدبِّر القرآن

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٢ - ٤].

قال ابن عاشور: «فالمقام هنا لبيان تأثُّر المؤمنين بالقرآن، والمقام هنالك للثناء على المؤمنين بالخشية من الله»[1].

وقال السعدي: «وَجْهُ ذلك: أَنَّهم يلقونَ له السمعَ، ويحضرون قلوبَهم لتدبُّرِه فعند ذلك يزيد إيمانهم؛ لأَنَّ التدبُّرَ مِن أعمال القلوب، ولأنَّه لا بُدَّ أَن يبين لهم معنى كانوا يجهلونه، أو يتذكرون ما كانوا نَسَوهُ، أو يُحدِثُ في قلوبهم رغبةً في الخير، واشتياقًا إلى كرامةِ ربِّهم، أو وجلًا من العقوبات، وازدجارًا عن

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٢٣/ ٣٩٠.

المعاصي، وكل هذا مما يزداد به الإيمان»[1].

وقال قتادة بعد أن تلا قولَه تعالى: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر:٢٣]: «هذا نعتُ أولياءِ الله، نَعتَهم اللهُ بأن تقشعر جلودهم، وتبكي أعينهم، وتطمئن قلوبهم إلى ذكر الله، ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم، إِنَّما هذا في أهلِ البدع، وهذا مِنَ الشيطان»[2].

وقال القرطبي: «الخوف إذا سكنَ القلبَ أوجبَ خشوعَ الظاهر؛ فلا يملك صاحبَه دفعَه، فتراه مُطرِقًا متأدبًا متذلِّلًا، وقد كان السلف يجتهدون في ستر ما يظهر من ذلك.

وأما المذموم؛ فتكلفه، والتباكي، ومطأطأة الرأس، كما يفعله الجُهَّال؛ ليُروا بعين البر والإجلال، وذلك خدعٌ مِنَ الشيطانِ، وتسويل مِن نفس الإنسانِ»[3].

وقال أيضًا: «فهذه حالةُ العارفين بالله، الخائفين مِن سطوته وعقوبته، لا كما يفعله جهال العوام والمبتدعة الطغام من الزعيق والزئير، ومن النهاق الذي يُشبِهُ نهاقَ الحمير.

(١) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ص ٣١٥.
(٢) انظر: تفسير البغوي: ٧/ ١١٦، وفهم القرآن، ص٢٧٩.
(٣) الجامع لأحكام القرآن، ١/ ٣٧٥.

فيُقال لمن تعاطى ذلك، وزعم أَنَّ ذلك وَجْدٌ وخشوعٌ: لم تبلغ أن تساوي حال الرسول ﷺ، ولا حال أصحابِه رضي الله عنهم في المعرفةِ بالله، والخوف منه، والتعظيم لجلالِه، ومع ذلك: فكانت حالُهم عند المواعظِ: الفهمُ عنِ الله، والبكاءُ خوفًا من الله.

ولذلك وصفَ اللهُ أَحوالَ أَهلِ المعرفةِ عند سماع ذكرِه وتلاوةِ كتابِه، فقال: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [المائدة:٨٣]، فهذا وصفُ حالهم وحكايةُ مقالهم.

ومَن لم يكن كذلك؛ فليس على هَدْيِهم، ولا على طَرِيقَتِهم، فمن كان مُسْتَنًّا؛ فليستنَّ، ومَن تعاطى أحوالَ المجانين والجنون؛ فهو من أَخَسِّهم حالًا، والجنون فنون!»(١).



(١) المرجع السابق، ٧/ ٣٦٦.



ذم من ترك التدبر

قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [لقمان:٧].

يقول القرطبي -رحمه الله- عند قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر:٢١]: «حثَّ على تأمُّلِ مواعظ القرآنِ، وبيَّن أنَّه لا عُذرَ في تركِ التدبُّرِ؛ فإنه لو خُوطِبَ بهذا القرآنِ الجبال مع تركيب العقل فيها؛ لانقادت لمواعظِه، ولرأيتها على صلابتها ورزانتها خاشعة متصدعة متشققة من خشية الله، وأنتم أيها المقهورون بإعجازه لا ترغبون في وعده، ولا ترهبون من وعيده»[1].

وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ

(١) تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن الكريم، ١٨/ ٤٤.

يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الأنعام:٢٥].

وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد:٢٤].

قال ابنُ عاشورٍ: «والمعنى: أَنَّ اللهَ خلَقهم بعقولٍ غير منفعلةٍ بمعاني الخير والصلاحِ، فلا يتدبرونَ القرآنَ مع فهمِهِ، أو لا يفهمونه عند تلقِّيهِ، وكلا الأمرين عجيبٌ، والاستفهامُ تَعجيب من سوءِ عِلْمِهم بالقرآنِ، ومِن إِعْرَاضِهم عن سماعه»(١).



(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٢٦/ ١١٣.



كتاب مبارك

قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص:٢٩].

فلمَّا وُصِفَ أنَّه مباركٌ؛ فهو يستحقُّ التدبُّرَ والتفكُّرَ والتأمُّلَ؛ لكثرةِ ما فيه من الخير والبركةِ.

يقول الآجرِّيُّ مُبيِّنًا بركةَ القرآنِ العظيمِ وربحه: «مَن تَلَى القرآنَ وأرادَ به متاجرةَ مولاهُ الكريم، فإنه يُرْبِحُه الربحَ الذي لا بَعْدَه ربحٌ، ويعرفه بركةَ المتاجرة في الدنيا والآخرة...»[1].

وقال السعدي: ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص:٢٩]؛ أي: هذه الحكمةُ مِن إنزالِه، ليتدبَّرَ الناسُ آياته، فيستخرجوا علمها، ويتأملوا أسرارها وحكمها، فإنَّه بالتدبُّر فيه والتأمل لمعانيه، وإعادة الفكر

---

(١) أخلاق أهل القرآن، للإمام الآجري، ص ٣٣.

فيها مرَّة بعد مرَّة، تُدرَكُ بركتُه وخيرُه، وهذا يدل على الحثِّ على تدبر القرآن، وأنه مِن أَفضلِ الأعمالِ، وأَنَّ القراءةَ المشتملةَ على التدبُّرِ أفضلُ مِن سرعةِ التلاوة التي لا يَحصُلُ بها هذا المقصود»(1).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ﴾ [فاطر:٢٩].



(١) تفسير الكريم المنان، للسعدي، ص ٧١٢.

التدبر مفتاح للعلوم والمعارف

يقول ابن سعدي -رحمه الله-: «تدبُّرُ كتابِ الله مفتاحٌ للعلوم والمعارف، وبه يستنتج كل خير، وتستخرج منه جميعُ العلوم، وبه يزداد الإيمان في القلب، وترسخ شجرته؛ فإنه يُعرِّف بالرب المعبود، وما له من صفات الكمال، وما ينزَّه عنه من صفات النقص، ويُعرِّف الطريق الموصل إليه، وصفة أهلها، وما لهم عند القدوم عليه، ويعرِّف العدو الذي هو العدو على الحقيقة والطريق الموصلة إلى العذاب، وصفة أهلها، وما لهم عند وجود أسباب العقاب، وكلما ازداد العبد تأملًا فيه ازداد: علمًا، وعملًا، وبصيرة»[1].

فهذا الكتاب فيه خيرٌ كثيرٌ، وعِلْم غزير، فيه كل هدى من ضلالة، وشفاء من كل داء، ونور يُستضاء به في الظلمات، وكل حكم يحتاج إليه المكلَّفون، وهذا كله من بركته والحكمة من

(١) تفسير الكريم المنان، للسعدي، ص ١٨٩ - ١٩٠.

إنزاله؛ ليتدبر الناس آياته، وفي هذه الآية: الحثُّ على تدبر القرآن، وأنه من أفضل الأعمال، ومن فضائل التدبر: أنَّ العَبْدَ يصل به إلى درجة اليقين، والعلم بأن القرآن كلام الله تعالى؛ لأنه يراه يصدق بعضه بعضًا[1].

وقد أخبر الله تعالى في القرآن: أَنَّ أَهلَ العلم هم الذين ينتفعون بالقرآن، فقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾ [العكبوت:٤٣]، وفي القرآن الكريم بضعة وأربعون مثلا[2]، وقد كان بعض السلف الصالح، وهو عمرو بن مرة: إذا مرَّ بِمَثَلٍ من أمثال القرآن ولم يفهمه يبكي ويقول: (لست من العالمين)[3]، ولابد لمن تدبر القرآن أن يجاهد بقلبه وفكره؛ لينال هذا العلم العظيم.

وقد قال يحيى بن أبي كثير: (لا يُنال العلم براحة الجسم)[4]، ولا ينال العلم إلا بهجر اللذات، وتطليق الراحة، ولا يُنال درجة وراثة النبوة مع الراحة[5].

---

(١) المرجع السابق، ص١٩٠وَص٧١٢.
(٢) انظر: مفتاح دار السعادة لابن القيم، ١/ ٢٢٦.
(٣) مفتاح دار السعادة، لابن القيم، ١/ ٢٢٦.
(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٣/ ٤٧٥.
(٥) مفتاح دار السعادة، ١/ ٤٤٦.



موانع التدبر وصوارفه

لماذا لا نتدبّر؟!

أين الخلل؟!

قال تعالى في ذمّ مَن هجرَ تدبُّرَ القرآنِ، وأعرضَ عن آياتِ الله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف:٥٧].

وقال أبو حامد الغزالي في «إحياء علوم الدين» عن استحباب البكاءِ مع القراءة: «وذلك بتأمل ما فيه من التهديدِ والوعيدِ، والمواثيقِ والعهودِ، ثُمَّ يتأمل تقصيرَه في أوامرِه وزواجرِه، فيحزن لا محالةَ ويبكي، فإن لم يحضره حزن وبكاء؛ فليبك على فقد الحزن والبكاء، فإن ذلك أعظم المصائب»[1].

(١) إحياء علوم الدين، للغزالي، ١/ ٢٧٧.

أولًا: أمراض القلوب، والإصرار على المعاصي والذنوب:

قال تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ [الأعراف:١٤٦].

قال ابن حجر -رحمه الله-: «بمقدار طهارة قلب المؤمن يكون أثر القرآن عليه».

وقال ابن قدامه -رحمه الله-: «وليتخل التالي عن موانع الفهم، ومن ذلك: أن يكون مُصرًّا على ذنبٍ، أَو مُتَّصِفًا بكبرٍ، أو مبتلًى بهوى مُطاع، فإن ذلك سبب ظلمة القلب وصدئه، فالقلب مثل المرآة، والشهوات مثل الصدأ، ومعاني القرآن مثل الصور التي تتراءى في المرآة، والرياضة للقلب بإماطة الشهوات مثل الجلاء للمرآة»[١].

وقال الزركشي: «اعلم أَنَّه لا يحصل للناظر فَهْمُ المعاني للوحي، ولا يظهر له أسراره، وفي قلبه بدعة، أو كبر، أو هوى، أو حب الدنيا، أو هو مصر على الذنب، أو غير متحقق بالإيمان، أو ضعيف التحقيق، أو يعتمد على مفسر ليس عنده علم، أو راجع إلى معقوله، وهذه كلها حجب وموانع بعضها آكد من بعض»[٢].

---

(١) مختصر منهاج القاصدين، ص ٥٣.
(٢) البرهان في علوم القرآن، للزركشي، ٢/ ١٨٠.

وقال في «إغاثة اللهفان»: «الغناء يُلهي القلبَ ويَصدُّه عن فهمِ القرآن، وتدبره، والعمل بما فيه»[1].

ثانيًا: انشغالُ القلبِ وشرودُ الذهنِ:

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق:٣٧].

وقال ابن القيم -رحمه الله-: «الناس ثلاثةٌ: رجلٌ قلبه ميِّت، والثاني: رجلٌ له قلبٌ حي؛ لكنه مشغول ليس بحاضر، وهذا أيضًا لا تحصلُ له الذِّكرى، والثالث: رجل حي القلب مستعد، تليت عليه الآياتُ، فأصغى بسمعِه، وألقى السمعَ، وأحضرَ القلب، ولم يشغله بغير فهم ما يسمع؛ فهو شاهد القلب، فهذا هو الذي ينتفع بالآيات»[2].

ثالثًا: ترك التدبُّرِ بشبهةِ التورُّعِ عن القولِ في كلامِ الله بغير علم:

قال ابن هبيرة -رحمة الله-: «ومن مكايد الشيطان: تنفيرُه عباد الله من تدبر القرآن؛ لعلمِه: أَنَّ الهدى واقعٌ عند التدبُّرِ، فيقول: هذه مخاطرةٌ حتى يقولَ الإنسانُ: أنا لا أتكلم في القرآن تورُّعًا»[3].

---

(١) البرهان في علوم القرآن، للزركشي، ٢/ ١٨٠.
(٢) مدارج السالكين، لابن القيم، ١/ ٤٤١.
(٣) ذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب، ٣/ ٢٧٣.

فمن تلبيس إبليس أَن يحرمك من تدبُّر القرآن والتفكُّر في معانيه تورُّعًا؛ لأَنَّ المخاطرة تكون في أن تتكلَّم في القرآن بغير علمٍ، وليس في تدبُّره.

يقول الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى: «من قال: إن له تأويلًا لا نفهمه ولا نعلمه، وإنما نتلوه متعبدين بألفاظه؛ ففي قلبه منه حرج»[1].

وللأسف: فإِنَّ هذه الشبهة حالت بين الكثيرين والدبر، فاعتقدوا أنه ليس لهم أن يتدبروا كلامَ الله -جل في علاه-، أو أن يَفْهَمُوهُ، والحقُّ: أَنَّ القرآنَ الكريم مُيسَّر في قراءتِه وحفظه، وفهمه وتدبره، والعمل به.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر:١٧]، «أي: ولقد يَسَّرنا وسهَّلْنا هذا القرآنَ الكريم، ألفاظه للحفظِ والأداءِ، ومعانيه للفهم والعلم؛ لأنه أحسنُ الكلام لفظًا، وأصدقُه معنًى، وأبينه تفسيرًا، فكل من أقبل عليه: يسَّرَ اللهُ عليه مطلوبَه غاية التيسيرِ، وسهَّلَه عليه...

ولهذا كان علم القرآن حفظًا وتفسيرًا، أسهل العلوم، وأجلّها

(١) التبيان في أقسام القرآن، ص.143

على الإطلاق، وهو العلم النافع الذي إذا طلبه العبد أعين عليه»[١].

وقد أطال العلامة الشنقيطي -رحمه الله تعالى- النَّفَسَ في الردِّ على هذه الشبهة في «تفسيره»، فقال: «اعلم أَنَّ قولَ بعضٍ متأخري الأصوليين: إن تدبر هذا القرآن العظيم، وتفهمه والعمل به، لا يجوز إلا للمجتهدين خاصَّة، وأن كل من لم يبلغ درجة الاجتهاد المطلق بشروطه المقررة عندهم التي لم يستند اشتراط كثير منها إلى دليل من كتاب، ولا سنة، ولا إجماع، ولا قياس جليٍّ، ولا أثر عن الصحابةِ: قول لا مستندَ له من دليلٍ شرعيٍّ أصلًا.

بل الحقُّ الذي لا شكَّ فيه: أَنَّ كلَّ مَن له قدرة من المسلمين على التعلم والتفهم، وإدراك معاني الكتاب والسنة، يجب عليه تعلمهما، والعمل بما علم منهما.

أما العمل بهما مع الجهل بما يعمل به منهما؛ فممنوع إجماعًا.

وأما ما علمه منهما علمًا صحيحًا ناشئًا عن تعلُّمٍ صحيحٍ، فله أن يعمل به، ولو آية واحدة، أو حديثًا واحدًا.

ومعلوم أَنَّ هذا الذم والإنكار على من لم يتدبَّر كتاب الله عامٌّ لجميع الناس»[٢].

---

(١) تيسير الكريم المنان، للسعدي، ص. 825

(٢) أضواء البيان، للشنقيطي، 7/258.

رابعًا: الإعراض عن تلاوة القرآن، وعدمُ الاقبال عليه:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ٢٦ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابٗا شَدِيدٗا وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [فصلت:٢٦-٢٧]، فكيف لقلبٍ هجرَ كتابَ الله: أن ينتفعَ به، ويتدبره.

خامسًا: قَصر الهمَّة على كثرة القراءة فقط، وصرفُ النظر عن الرغبة في تَدبره، أو التَأثر به.

يقول ابن الجوزي -رحمه الله-: «وقد رأيتُ مَن يجمع الناس ويقيم شخصًا، ويقرأ في النهار الطويل ثلاث ختمات، فإن قصر عيب، وإن أتم مدح، وتجتمع العوام لذلك ويحسنونه، ويريهم إبليس: أنَّ في كثرةِ التلاوةِ ثوابًا، وهذا من تلبيسه؛ لأنَّ القراءةَ ينبغي أن تكونَ لله تعالى، لا للتحسين بها، وينبغي أن تكون على تمهُّلٍ، قال تعالى: ﴿لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ﴾ [الإسراء:١٠٦]، وقال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾ [المزمل:٤]»[(١)].

ثم قال -رحمه الله-: «وقد لُبِّسَ على قوم بكثرةِ التلاوةِ فهم يهذونه هذًّا من غير ترتيل ولا تثبُّت، وهذه حالةٌ ليست بمحمودةٍ،

---

(١) تلبيس إبليس، لابن الجوزي، ص.102

وقد روى جماعة من السلف أنهم كانوا يقرؤون القرآن في كل يوم، أو في كل ركعة، وهذا يكون نادرًا منهم، ومن داوم عليه؛ فإنه وإن كان جائزًا؛ إلا أَنَّ الترتيل والتثبت أحب إلى العلماء، وقد قال ﷺ: (لا يفقه القرآن من قرأه في أقل من ثلاث)[1]»[2].

سادسًا: قَصر معاني الآيات على قوم مضوا، أو أحوال خاصة قد انتهت:

قال تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام:١٩].

قال محمد بن كعب القرظي: «من بلغه القرآن؛ فكأنما كلمه الله»[3].

يقول الإمام ابن القيم: «أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته وتضمنه له ويظنونه في نوع وفي قوم قد خلوا من قبل ولم يعقبوا وارثا وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن.

ولعمر الله إن كان أولئك قد خلوا؛ فقد ورثهم مَن هو مثلهم،

---

(١) الحديث رواه الترمذي في سننه، ٥/ ١٩٨، رقم (٢٩٤٩)، كتاب القراءات، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وقال أبو عيسى: حديث حسن صحيح.
(٢) تلبيس إبليس، لابن الجوزي، ص.128
(٣) إحياء علوم الدين، ١/ ٥١٦.

أو شر منهم، أو دونهم، وتناول القرآن لهم كتناوله لأولئك»[1].

سابعًا: قَصر الهمة على تحقيق القراءة، وحسن التلاوة، وقوة الاستحضار، وضعف الهمة عن تدبره والعمل به.

يقول ابن قدامه -رحمه الله-: «وليتخلَّ التالي عن موانع الفهم، مثل أن يخيل له الشيطان أنَّه ما حقَّق تلاوة الحرف، ولا أخرجه من مخرجه، فيصرف همته عن فهم المعنى»[2].

يقول ابن تيمية -رحمه الله-: «ولا يجعل همَّته فيما حجب به أكثر الناس من العلوم عن حقائق القرآن: إما بالوسوسة في خروج حروفه وترقيقها، وتفخيمها، وإمالتها، والنطق بالمد الطويل والقصير والمتوسط وغير ذلك، فإن هذا حائل للقلوب قاطع لها عن فهم مراد الرب من كلامه»[3].



---

(١) مدارج السالكين، لابن القيم، ١/ ٣٤٣.
(٢) مختصر منهاج القاصدين، ص ٦٧.
(٣) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ١٦/ ٥٠.

ثمرات تدبر القرآن

من تدبر كلام الله جل وعلا، وتفهم معانيه، وتفكر في مبانيه، حاز وسام الشرف، وأُلبس تاج العز، ونال رضا الرحمن، والتوفيق لأداء عبادته، وسعادة قلبه، وطهارة نفسه، وسمو روحه، وتيسير أموره، وسائر ما فيه نفعه في دنياه وأخراه .

يقول ابن القيم -رحمه الله-: «فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده من تدبر القرآن الكريم، وجمع الفكر على معاني آياته، فلا تزال معانيه تنهض العبد إلى ربه بالوعد الجميل، وتحذره وتخوفه بوعيده من العذاب الوبيل، وتهديه في ظلم الآراء والمذاهب إلى سواء السبيل»[1].

أولًا: زيادة الإيمان واليقين ورسوخه في القلب:

يقول العلامة ابن سعدي -رحمه الله-: «تدبر كتاب الله مفتاح للعلوم والمعارف، وبه يستنتج كل خير، وتستنتج منه جميع العلوم،

(١) مدارك السالكين، لابن القيم، ١/ ٤٥٠.

وبه يزداد الإيمان في القلب، وترسخ شجرته»[1].

ثانيًا: طهارة القلب، وتزكية النفس:

قال ابن حجر -رحمه الله-: «بمقدار طهارة قلب المؤمن يكون أثرُ القرآن عليه».

فتدبُّر القرآن الكريم هو جلاءُ القلوبِ، وإذا صَفَى القلبُ: زكت النفس، ففي الحديث: «إِنَّ القلوبَ لتصدأ كما يصدأ الحديد، قيل: وما جلاؤها؟ قال: تلاوة القرآن، وذكر الموت»[2].

ثالثًا: البكاء والخشوع:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [المائدة:٨٣].

وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَبُكِيّٗا﴾ [مريم:٥٨].

---

(١) تيسير الكريم المنان، للسعدي، ص ١٨٩.

(٢) الحديث رواه البيهقي في شعب الإيمان، ٢/ ٣٥٢، رقم (٢٠١٤)، فصل في إدمان تلاوة القرآن، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وضعفه الإمام الألباني في مشكاة المصابيح، ١/ ٤٩٠.

قال ﷺ: «عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله»[1].

وعقد البخاريُّ في فضائل القرآن من «صحيحه» بابًا للبكاء عند قراءة القرآن[2].

وقال العزالي: «يستحب البكاء مع القراءة وعندها، وطريق تحصيله أن يحضر قلبه الحزن والخوف يتأمل القارئ ما فيه من التهديد والوعيد والمواثيق والعهود، ثم يتأمل تقصيره في أوامره وزواجره، فيحزنه لا محالة، ويبكي»[3].

وقال النووي: البكاء عند قراءة القرآن صفة العارفين وشعار الصالحين[4].

رابعًا: يهدي العبد إلى الاقتداء بهدي الرسول ﷺ وأخلاقه:

سُئلت عائشة -رضي الله عنها- عن خُلُقِ النبيِّ ﷺ، فقالت: (كان خلقه القرآن)[5].

---

(١) رواه الترمذي في سننه، ٤/ ١٧٥، رقم (١٦٣٩)، كتاب فضائل الجهاد، باب فضل الحرس في سبيل الله، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وقال أبو عيسى: حديث حسن، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح، ٢/ ٣٧١.

(٢) فتح الباري: (٩/ ٢١).

(٣) إحياء علوم الدين: (١/ ٢١٩).

(٤) فتح الباري: (٩/ ١٢١).

(٥) رواه الإمام أحمد في مسنده، ٦/ ٩١، من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

خامسًا: تزويد المسلم برؤية معرفية كونية شاملة:

هذه الرؤية كما قال ابن قيم الجوزية -رحمه الله-: «تطلع العبد على معالم الخير والشر بحذافيرها، وعلى طرقاتها وأسبابها وغايتها وثمراتها، ومآل أهلها، وتَتُلُّ في قلبه كنوز السعادة والعلوم النافعة، وتثبت قواعد الإيمان في قلبه وتشيد بنيانه وتوطد أركانه، وتريه صورة الدنيا والآخرة والجنة والنار في قلبه، وتحضره بين الأمم وتريه أيام الله فيهم، وتبصره مواقع العبد وتُشهده عدل الله وفضله، وتعرفه ذاته وأسماءه وصفاته وأفعاله وما يحبه وما يبغضه، وصراطه الموصل إليه وما لسالكيه بعد الوصول والقدوم عليه وقواطع الطريق وآفاتها، وتعرفه النفس وصفاتها، ومفسدات الأعمال ومصححاتها، وتعرفه طريق أهل الجنة وطريق أهل النار و أعمالهم وأحوالهم وسيماهم... فيصير في شأن والناس في شأن آخر»(١).

سادسًا: شحذ إرادة المسلم وهمته إلى الاجتهاد في العمل الصالح.

وذلك: أَنَّ معاني القرآن الكريم كما قال ابن القيم -رحمه الله: «تنهض العبد إلى ربه بالوعد الجميل، وتحذره وتخوفه بوعيده من العذاب الوبيل، وتحثه على التضمر والتخفف للقاء اليوم الثقيل... وتناديه كلما فترت عزماته وونى في سيره: تقدم الركب وفاتك

(١) مدارج السالكين، لابن القيم، ١/ ٤٥٠.

الدليل فاللحاق اللحاق والرحيل الرحيل، وتحدو به وتسير أمامه سير الدليل وكلما خرج عليه كمين من كمائن العدو أو قاطع من قطاع الطريق نادته: الحذر الحذر!! فاعتصم بالله واستعن به وقل: حسبنا الله ونعم الوكيل»[1].

سابعًا: حل لكثير من المشكلات والأزمات:

قال تعالى: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾ [طه:١-٢].

وفي آخر السورة: ﴿قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ۝١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا﴾ [طه:١٢٣ - ١٢٤].

مثاله قصة الحسن البصري -رحمه الله- المشهورة عند قوله تعالى: ﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا﴾ [نوح:١٠] الآيات[2].

ثامنًا: أنَّه سبيلُ الهداية في الدنيا، والسعادة في الآخرة:

قال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ﴾ [طه:١٢٣].

---

(١) مدارج السالكين، لابن القيم، ١/ ٤٥١.

(٢) سورة نوح، الآية: ١٠.

قال ابن عباس -رضي الله عنه- عن هذه الآية: «لا يضلُّ في الدنيا، ولا يَشْقَى في الآخرة»[1].

ومعلوم: أنَّه لا سبيلَ لاتباع هدي الله تعالى إلا بتفهم ما أودعه في كتابه من هدى ونور وتدبر آياته ومعانيها.

تاسعًا: سببٌ لرفعةِ العبدِ، ورفعةِ الأُمَّةِ بأسرها، وتحقيق سيادتها، واستعادة عزتها ومجدها وتاريخها..

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ [الصف:٩].

وقال ﷺ: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا، ويضع به آخرين»[2].

لقد زلزل المؤمنون بالقرآن الأرض يوم زلزلت معانيه نفوسهم، وفتحوا به الدنيا يوم فتحت حقائقه عقولهم، وسيطروا به على العالم يوم سيطرت مبادئه على اخلاقهم ورغباتهم، وبهذا فقط لا شيء سواه يعيد المسلمين التاريخ إلى سيرته الأولى.



(١) تفسير القرطبي، ١١/ ٢٥٨.
(٢) صحيح مسلم، ١/ ٥٥٩، رقم (٨١٧)، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه وفضل من تعلم حكمة.



1 التطهير

قال تعالى: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝١ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ۝٢ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ۝٣ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ۝٤ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ۝٥ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الشمس:١-١٠].

أقسم الله عز وجل في هذه السورة بمخلوقاته كالشمس، والقمر، والنهار والليل، والسماء.. وغيرها، وهو عز وجل لا يُقسِمُ بقَسمٍ إلَّا إذا كان الأمر عظيمًا، والخطب جليلًا..

ولما كان الأمر متعلقًا بتزكية النفوس وتطهيرها من الأمراض والأسقام العالقة بها، كان لا بد من هذا النوع من القَسَم؛ تعظيمًا لهذا الأمر: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩ - ١٠].

فتوكيدُ الفلاحِ في الدنيا والآخرة لمن زكَّى نفسَه، وإثباتُ الخيبةِ والبوارِ لمن دسَّاها.

قال قتادةُ، وابنُ عيينةَ، وغيرهما: «قد أفلح من زكَّى نفسَه بطاعةِ الله، وصالح الأعمال»[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «فإنَّ التَّزكِّي هو التَّطهُّرُ والتبرُّكُ بتركِ السيئاتِ الموجب زكاة النفس، كما قال: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس:٩]، ولهذا تُفَسَّرُ الزكاةُ تارةً بالنَّماءِ والزيادةِ، وتارةً بالنظافةِ والإماطةِ.

والتحقيقُ: أَنَّ الزكاةَ تجمعُ بين الأمرين: إزالة الشرِّ، وزيادةِ الخيرِ.

وهذا هو العمل الصالحُ -وهو: الإحسانُ-، وذلك لا ينفعُ إلَّا بالإخلاصِ لله وعبادتِه وحدَه لا شريكَ له، الذي هو أصلُ الإيمانِ»[2].

قال ابن قيم الجوزية: «والمعنى: قد أفلحَ مَن كبَّرَها وأعلاها بطاعةِ الله وأظهرَها، وقد خَسِرَ مَن أَخفاها وحقَّرَها وصغَّرَها بمعصيةِ الله.

وأصلُ التدسيةِ: الإخفاءُ، ومنه قولُه تعالى: ﴿أَمۡ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِۗ﴾ [النحل: ٥٩].

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (١٠/ ٦٢٥).
(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (١٦/ ١٩٨).

فالعاصي يدسُّ نفسَه في المعصيةِ، ويُخفي مكانَها، يتوارى مِنَ الخلقِ مِن سوءِ ما يأتي به، وقدِ انقمعَ عند نفسِه، وانقمعَ عند الله، وانقمعَ عند الخلقِ، فالطاعةُ والبر تُكَبِّرُ النفسَ وتُعِزُّها وتُعلِيها، حتَّى تصيرَ أشرفَ شيءٍ وأكبرَه، وأزكاهُ وأعلاه، ومع ذلك؛ فهي أذلُّ شيءٍ وأَحقَرُه وأصغرُه لله تعالى، وبهذا الذلِّ حصلَ لها هذا العزُّ والشرفُ والنمو، فما أصغرَ النفوسَ مثلُ معصيةِ الله، وما كبَّرَها وشرَّفها ورفعَها مثلُ طاعةِ الله»[1].

ومن أعظم الطاعات، وأنفعها، وأشرفها: تدبر القرآن الكريم، وبمقدار طهارة قلب الإنسان ونقاوته يكون أثرُ القرآنِ عليه عظيمًا، قال ابنُ حجرٍ -رحمه الله-: «بمقدارِ طهارةِ قلبِ المؤمنِ، يكونُ أَثرُ القرآنِ عليهِ».

وعليه؛ فإِنَّ نفعَ القرآنِ يكون عظيمًا إذا طَهُرَ القلبُ، ومِن نفعِه: الاستشفاءُ به، قال ابن قيم الجوزية: «قوله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء:٨٢].

والصحيح: أن ﴿ مِنَ ﴾ هاهنا، لبيان الجنسِ لا للتبعيض، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [يونس:٥٧].

---

(١) انظر: «الجواب الكافي» لابن قيم الجوزية (ص٧٨).

فالقرآنُ هو الشفاءُ التامُّ مِن جميع الأدواءِ القلبيَّةِ والبدنيَّةِ، وأدواء الدنيا والآخرة، وما كلُّ أحدٍ يُؤهَّلُ ولا يُوَفَّقُ للاستشفاءِ به، وإذا أحسن العليلُ التداوي به، ووضعَه على دائِه بصدقٍ وإيمانٍ، وقبولٍ تامٍّ، واعتقادٍ جازمٍ، واستيفاءِ شروطِه: لم يقاومه الداء أبدًا.

وكيف تقاوم كلام ربِّ الأرض والسماء الذي لو نُزِّلَ على الجبال؛ لصدَّعَها، أو على الأرض؛ لقطَّعَها، فما مِن مرضٍ مِن أمراضِ القلوبِ والأبدانِ إلَّا وفي القرآن سبيلُ الدلالةِ على دوائِه وسببِه، والحميةِ منه لمن رزقَه اللهُ فهمًا في كتابه».

فطهارة القلب سبيل إلى الانتفاع بالقرآن، والاستشفاء به.



2
التعظيم والتأدب

الكلام يشرف بِشَرَفِ قائِله، فكلَّما كان القائلُ عظيمًا: كانت كلماتُه كذلك، ولذا قيل: كلامُ الملوكِ ملوكُ الكلامِ.

وهذا في حقِّ كلامِ البشر، فكيف بكلام خالق البشر؟!

إنَّ تعظيمَ كتابِ الله تعالى، هو مِن تعظيمِ الله تعالى وتوقيرِه الَّذي أمرَنا به، كما قال نوحٌ –عليه السلام–: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح:١٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر:٦٧].

والتعظيم لكتاب الله ثلاث أقسام:

أ) تعظيم الله –عز وجل– لكتابه:

قال تعالى: ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ [ص:١].

وقال عز وجل: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ [ق:١].

وقال: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ۝٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ﴾ [الواقعة:٧٥-٧٨].

قال ابن كثير رحمه الله: «قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ﴾؛ أي: وإنَّ هذا القسم الذي أقسمت به لقسمٌ عظيمٌ، لو تعلمون عظمتَه؛ لعظَّمتُم المُقسَم به عليهِ، ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ﴾؛ أي: إنَّ هذا القرآنَ الَّذي نَزَلَ على محمَّدٍ لكتابٌ عظيمٌ، ﴿فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ﴾؛ أي: مُعظَّمٌ في كتابٍ مُعظَّمٍ محفوظٍ مُوقَّرٍ»[1].

قال ابن قيم الجوزية -رحمه الله-: «المناسبة بين ذكرِ النجومِ في القَسَمِ وبين المُقْسَم عليهِ -وهو: القرآنُ- مِن وجوهٍ:

أَحدُها: أنَّ النُّجومَ جعلَها اللهُ يُهتَدَى بها في ظلماتِ البَرِّ والبحرِ، وآياتُ القرآن يُهتَدَى بها في ظلماتِ الجهلِ والغيِّ، فتلك هدايةٌ في الظلماتِ الحسيَّةِ، وآياتُ القرآنِ في الظلمات المعنويَّةِ، فجمع بين الهدايتين مع ما في النجومِ مِنَ الرجومِ للشياطين، وفي آيات القرآن مِن رجومِ شياطين الإنسِ»[2].

وقال تعالى في وصف هذا القرآن: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ

(١) تفسير ابن كثير، ٧/ ٥٤٨.
(٢) التبيان في أقسام القرآن، لابن قيم الجوزية (ص٢٢٠).

﴿فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود:١]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:٥٢]، وقال تعالى: ﴿الر ۚ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ [يونس:١]، وقال -عز وجل-: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ﴾ [البروج:٢١].

قال القرطبي: «﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ﴾؛ أي: مُتَنَاهٍ في الشرفِ والكرمِ والبركةِ، وهو بيانُ ما بالناسِ الحاجةُ إليه مِن أحكامِ الدِّينِ والدنيا، وليس كما زعمَ المشركونَ: أنه شِعْرٌ وكهانةٌ»[١].

ب) تعظيم الرسول ﷺ للقرآن:

كان النبيُّ ﷺ يُعظِّمُ أهلَ القرآنِ، ويُقَدِّمُهم في الصلاةِ، فيقولُ: «يَؤُمُّ القومَ أَقْرَؤُهم لكتابِ الله»[٢].

وكان يقول: «إِنَّ مِن إجلالِ الله: إكرامُ ذي الشيبةِ المسلمِ، وحاملُ القرآنِ»[٣].

وما قامَ أَحدٌ بالقرآنِ قيامَ رسولِنا ﷺ، وما تَدبَّرَهُ أَحدٌ تَدبُّرَ

(١) تفسير القرطبي، ١٩/ ٢٩٨.
(٢) صحيح مسلم، ١/ ٤٦٥، رقم (٦٧٣)، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب من أحق بالإمامة، من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه.
(٣) سنن أبي داود، ٢/ ٦٧٧، رقم (٤٨٤٣)، كتاب الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، وحسنه الألباني، صحيح الترغيب١/ ٢٣.

رسولِنا ﷺ، وما بكى أحدٌ مِن تلاوتِه -أو: استماعِه- ما بكى سيِّدُ الخائفين، وما اقتدى بهديهِ أَحدٌ اقتداءَ سيد العالمين، حتَّى قالت عائشةُ رضي الله عنها: «كان خُلُقُه القرآنُ»[1].

وعن عبدِ الله بنِ مَسعودٍ رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «اقرأ عليَّ»، قلتُ: أَقرأُ عليكَ، وعليكَ أُنزِلَ؟! قال: «إنِّي أَشْتَهي أَن أسمعَه مِن غيري»، فقرأتُ النِّساءَ، حتَّى إذا بلغتُ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء:٤١]، قال لي: «كُفَّ»، أَو: «أَمْسِكْ»؛ فرأيتُ عَينيهِ تذرفانِ[2].

ج- تعظيم الأنبياءِ والصالحين لآيات الله إذا تُلِيَت عليهم:

فالله -سبحانه وتعالى- قد أخبر عن إجلال الأنبياءِ والصالحين عند سماع القرآن، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء:١٠٧-١٠٩].

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده، ٦/ ٩١، من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

(٢) صحيح البخاري، ٤/ ١٨٢٧، رقم (٤٧٦٨)، كتاب فضائل القرآن، باب البكاء عند تلاوة القرآن، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

وكان عمر -رضي الله عنه- يُعظِّمُ حاملَ القرآن، كان يقدم ابن عباس -رضي الله عنه- على مشائخ مكة.

وكان ابن مسعود -رضي الله عنه- يقول: إذا سمعت قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ فأرعها سمعك، فإنها خير يأمر به، أو شر ينهى عنه.

وفي «صحيح مسلم» من حديث عامرِ بنِ واثلةَ: أَنَّ نافعَ بنَ عبدِ الحارث لَقِيَ عمرَ بعُسفانَ، وكان عمرُ يَستعملُه على مكةَ، فقال: مَنِ استعملتَ على أهلِ الوادي، فقال: ابنَ أَبْزَى، قال: ومَنِ ابنُ أَبْزَى؟ قال: مولًى مِنْ موالينا، قال: فاستخلفتَ عليهم مولًى؟! قال: إِنَّه قارئٌ لكتابِ الله عزَّ وجل، وإِنَّه عالمٌ بالفرائضِ، قال عمرُ: أَما إِنَّ نَبِيَّكُم ﷺ قد قال: **«إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بهذا الكتابِ أَقوامًا، ويضعُ به آخرينَ»**[(١)].

قال المُناوي: «قوله: «يَرْفَعُ بهذا الكتابِ»؛ أي: بالإيمان بالقرآنِ، وتَعظيمِه، والعملِ بِهِ»[(٢)].



(١) صحيح مسلم (٨١٧).
(٢) التيسير بشرح الجامع الصغير، ١/ ٢٧٤ .



3
التغني

وهو التَّطريبُ والتلحينُ، وتزيينُ الصَّوتِ بالقراءةِ، وفق ما وردَ عنِ النبيِّ ﷺ والصحابةِ -رضي الله عنهم-.

فعن أَبي هريرةَ -رضي الله عنه-، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ليس مِنَّا مَن لم يتغنَّ بالقرآنِ، ويَجْهَرُ بهِ»(١).

قال الحافظ ابنُ حجرَ: «ولا شكَّ: أَنَّ النفوسَ تميلُ إلى سماعِ القراءةِ بالترنُّم أكثر من مَيْلِها لمن لا يترنَّم؛ لأنَّ للتطريبِ تأثيرًا في رقَّةِ القلبِ، وإجراءِ الدَّمعِ»(٢).

وعنه أيضًا -رضي الله عنه-: أَنَّه سمعَ رسولَ الله ﷺ يقول: «ما

---

(١) صحيح البخاري، ٦/ ٢٧٣٧، رقم (٧٠٨٩)، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى (وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور)، وصحيح مسلم، ١/ ٥٤٥، رقم (٧٩٢)، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن.

(٢) فتح الباري: ٩/ ٨٨-٨٩.

أذن اللهُ لشيءٍ ما أذن لنبيٍّ حسنِ الصوت يجهرُ بالقرآنِ»[1].

قال الحافظ ابن حجر: «والذي يتحصَّلُ من الأدلةِ: أَنَّ حُسْنَ الصوتِ بالقرآن مطلوب، فإن لم يكن حسنًا؛ فليُحَسِّنْهُ ما استطاعَ، كما قال ابنُ أَبي مُليكةَ -أحد رواة الحديث-، وقد أخرج ذلك عنه أبو داود بإسناد صحيح.

ومن جملة تحسينه: أن يُراعي فيه قوانين النغم، فإنَّ الحَسَن الصوت يزداد حُسْنًا بذلك، وإن خرج عنها أَثَّر ذلك في حُسْنه، وغير الحَسَن ربما انجبَر بمراعاتها ما لم يخرج عن شَرْط الأداء المعتبر عند أهل القراءآت، فإن خرج عنها لم يفِ تحسينُ الصوت بقبحِ الأداء، ولعل هذا مستند من كره القراءةَ بالأنغامِ؛ لأنَّ الغالبَ على من راعى الأنغام: أَن لا يُراعي الأداءَ، فإن وُجِدَ من يُراعيهما معًا؛ فلا شكَّ في أنَّه أرجحُ مِن غيرِه؛ لأنَّه يأتي بالمطلوبِ مِن تحسينِ الصوتِ، ويجتنبُ الممنوعَ مِن حُرمةِ الأداءِ»[2].



(١) صحيح البخاري، ٦/ ٢٧٤٣، رقم (٧١٠٥)، كتاب التوحيد، باب قول النبي ﷺ الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام، وصحيح مسلم، ١/ ٥٤٥، رقم (٧٩٢)، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن.

(٢) فتح الباري: ٩/ ٨٩.



4
الترتيل

التَّرتيلُ: إِرسالُ الكلمةِ مِنَ الفهمِ بسهولةٍ واستقامةٍ(١).

وقد روى الإمام أبو عُبيدٍ القاسم بن سلَّام بسندِه عن مجاهدٍ في قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل:٤]، قال: «ترسَّل فيه ترسيلًا»(٢).

وعنِ ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنه، قال: «تُبيِّنُه تَبْيينًا»(٣).

وقال الحسن وقتادة: اقْرَأْهُ قراءةً بيِّنَةً(٤).

قال الإمام الشافعي -رحمه الله-: «فأَقَلُّ الترتيلِ: تركُ العجلةِ في القرآنِ عن الإبانةِ»(٥).

---

(١) انظر: «المفردات في غريب القرآن» للراغب الأصفهاني (١/ ٣٤١).
(٢) انظر: «فضائل القرآن» لأبي عبيد القاسم بن سلام (ص١٥٦).
(٣) انظر: «أخلاق أهل القرآن» للآجري (٨٧).
(٤) انظر: «جمال القراء، وكمال الإقراء» (١/ ٦٣٥).
(٥) انظر: «أحكام القرآن» للشافعي (١/ ٦٤ - جمع البيهقي).

وقال إسحاقُ بنُ إبراهيمَ -رحمه الله- عن الفُضيلِ بعد ذلك: «كانت قراءتُه حزينةً شهيَّةً بطيئةً مُترسِّلَةً، كأنَّه يُخاطبُ إنسانًا».

قال الإمامُ ابنُ عاشور في «تفسيره»: «والترتيلُ: جعلُ الشيءِ مُرَتَّلًا؛ أي: مُفَرَّقًا، وأصله من قولهم: ثَغْرٌ مُرَتَّلٌ، وهو المفلَّجُ الأسنانِ؛ أي: المفرَّق بين أسنانِه تفرُّقًا قليلًا بحيث لا تكون النواجذُ متلاصقةً.

وأُرِيدَ بترتيلِ القرآن: ترتيلُ قراءتِه؛ أي: التمهُّلُ في النُّطقِ بحروفِ القرآنِ حتى تخرجَ مِنَ الفمِ واضحةً مع إشباعِ الحركاتِ التي تستحقُّ الإشباعَ.

ووصفت عائشةُ الترتيلَ، فقالت: «لو أرادَ السامعُ أن يَعُدَّ حروفَه؛ لعدَّها لا كسردِكم هذا».

وفائدة هذا: أَنْ يُرَسِّخَ حفظَه ويتلقَّاهُ السامعونَ، فيَعْلَقُ بحوافظِهم، ويتدبر قارئه وسامعَه معانيَه، كي لا يسبق لفظ اللسان عمل الفهم»[1].

وسُئل عليٌّ بن أبي طالب -رضي الله عنه- عن معنى قولِه تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل:٤]، فقال: «الترتيلُ: تجويدُ الحروفِ، ومعرفةُ الوقوفِ».

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٢٩/ ٢٦٠.

قال ابنُ كثير في قولِه تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل:٤]: «أي: اقْرَأْهُ على تَمَهُّلٍ؛ فإنَّه يكون عونًا على فهم القرآنِ وتدبُّرِه، وكذلك كان يَقْرَؤُه ﷺ.

قالت عائشةُ -رضي الله عنها-: كان يقرأُ السورةَ؛ فيُرَتِّلُها حتَّى تكونَ أَطولَ مِن أطول منها»[1].

◉ وتجويدُ الحروفِ: إعطاءُ كلِّ حرفٍ حقَّه ومُستحقه.

◉ **ومعرفة الوقوف**: معرفةُ مواطنِ الوقفِ والابتداءِ، مثل: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [الأنعام:٣٦]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ [البقرة:١٢١].

قال الألوسيُّ: «أي: يَقْرَءُونَه حقَّ قراءَتِه؛ وهي قراءةٌ تأخذُ بمجامعِ القلبِ، فيُراعي فيها ضبطَ اللفظِ، والتَّأَمُّلَ في المعنى، وحق الأمر والنهي»[2].

وقال الرازي: «التلاوة لها معنيان:

---

(١) تفسير القرآن العظيم، للإمام ابن كثير، ٤/ ٤٣٤.
(٢) انظر: روح المعاني، للألوسي، ١/ ٣٧٢.

أحدهما: القراءة.

الثاني: الاتباع فعلًا؛ لأَنَّ منِ اتبع غيرَه يُقال: تلاه فعلًا.

والظاهر: أنَّه يقع عليهما جميعًا، ويصحُّ فيهما جميعًا؛ لأَنَّ التابعَ لغيرِه قد يستوفي حقَّ الاتباع، فلا يخل بشيءٍ منه.

وكذلك التالي يستوفي حقَّ قراءته؛ فلا يخلُّ بما يلزم فيه، والذين تأوَّلُوهُ على القراءة هم مختلفون على وجوه:

فأَوَّلُها: أنهم تدبروه، فعملوا بموجبِه حتَّى تمسكوا بأحكامه مِن حلالٍ وحرامٍ وغيرِهما.

وثانيها: أنَّهم خضعوا عند تلاوته، وخشعوا إذا قرؤا القرآن في صلاتهم وخلواتهم.

وثالثها: أنَّهم عملوا بمحكمه، وآمنوا بمتشابهه، وتوقفوا فيما أشكل عليهم منه، وفوضوه إلى الله سبحانه.

ورابعها: يقرؤنه كما أَنزلَ اللهُ، ولا يُحَرِّفُونَ الكلمَ عن مواضعِه، ولا يتأولونه على غير الحق.

وخامسها: أن تُحمل الآية على كلِّ هذه الوجوه؛ لأَنَّها مشتركة في

مفهوم واحد، وهو تعظيمُها والانقيادُ لها لفظًا ومعنى، فوجب حملُ اللفظِ على هذا القدرِ المشتركِ؛ تكثيرًا لفوائدِ كلامِ الله تعالى»[1].

واعلم: أَنَّ التلاوة إِنَّما تكون بالعلمِ، والحفظِ، والدَّرسِ.

والفهمُ يكونُ: بصدقِ النيَّةِ، وتعظيمِ الحرمةِ، وطيبِ الطُّعمَةِ[2].



(١) انظر: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٤/ ٢٥٠.
(٢) انظر: بيان تلبيس الجهمية، لابن تيمية، ٨/ ٢٧٥.

5
التمهُّل والتأني

قـــال تعـــالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ [الإسراء:١٠٦].

ذكر ابنُ كثيرٍ -رحمه الله- قولًا عنِ ابن عباس -رضي الله عنه- عند قوله تعالى: ﴿لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ [الإسراء:١٠٦]؛ أي: لِتُبَلِّغَه الناسَ، وتتلوه عليهم على مهلٍ(١).

وقال أيضًا: «أي: اقرأه على تمهُّلٍ؛ فإنَّه يكون عونًا على فهم القرآنِ وتدبُّرِه، وكذلك كان يقرأُ صلوات الله عليه.

قالت عائشةُ رضي الله عنها: «كان يقرأُ السورةَ، فيُرَتِّلُها حتَّى تكونَ أَطولَ مِن أَطولَ منها»(٢).

وقال الحسن البصريُّ -رحمه الله-: «يا ابن آدم! كيف يرقُّ قلبُكَ، وإنَّما همَّتُكَ آخر السورة».

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٥/ ١٢٧.
(٢) تفسير الإمام ابن كثير، ٨/ ٢٥٠.

وقال عمرُ رضي الله عنه: «شر القراءةِ: الهذرمةُ»[1]؛ أي: الإسراع فيها دون تدبُّرِ معانيه[2].

قال الإمامُ ابنُ الجوزيِّ: «ومن ذلك: أَنَّ أقوامًا مِنَ القُرَّاءِ يتبارَونَ بكثرةِ القراءةِ، وَقَدْ رأيتُ مِن مَشايخهم مَن يجمعُ الناسَ ويُقيم شخصًا، ويقرأ فِي النَّهارِ الطويلِ ثلاثَ ختماتٍ، فَإِن قَصَّرَ: عيبَ، وإن أتمَّ: مدح، وتجتمع العوام لذلك ويحسنونه كَما يفعلون في حقِّ السعاةِ ويريهم إبليس: أَنَّ في كثرة التلاوة ثوابًا، وهذا من تلبيسه؛ لأَنَّ القراءةَ ينبغي أن تكونَ لله تعالى، لا للتحسين بها، وينبغي أن تكون على تمهُّلٍ، وقال عز وجل: ﴿لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ [الإسراء:١٠٦]، وقال عز وجل: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾»[3].



(١) نظر: الكشاف، للإمام الزمخشري، ٤/ ٦٢٤.
(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، إبراهيم أنيس وآخرون، ص ٩٧٩.
(٣) تلبيس إبليس، ص ١٠٢.



6
التفاعل

أَمرَ اللهُ عزَّ وجلَّ بالتفاعلِ مع كتابِه، فقال: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦].

وقد روى ابنُ أبي الدنيا في «الرقة والبكاء» بإسنادِه عنِ ابنِ عُمرَ: أنَّه كان إذا أَتى على هذهِ الآيةِ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد:١٦] بَكَى حتَّى يَبُلَّ لِحيتَهُ البُكاءُ، ويقولُ: «بلى يا رَبِّ»[1].

وقد وصف اللهُ عز وجل حال أهل الكتاب عند سماعهم لكلام الله عز وجل، فقال: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [المائدة:٨٣].

---

(١) انظر: «الرقة البكاء» (٧٧).

وكان النبيُّ ﷺ يتفاعلُ مع ما يُقرأ مِنَ القرآنِ، فعن حُذيفةَ رضي الله عنه، قال: «صلَّيْتُ مع النبيِّ ﷺ ذاتَ ليلةٍ، فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عندَ المائةِ، ثُمَّ مضى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بها في ركعةٍ، فَمَضَى، فقُلْتُ: يركَعُ بها، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ، فقرَأَها، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ، فقرَأَها، يقْرَأُ مُتَرَسِّلًا؛ إذا مَرَّ بِآيَةٍ فيها تَسْبِيحٌ: سَبَّحَ، وإذا مَرَّ بِسُؤَالٍ: سَأَلَ، وإذا مَرَّ بتعَوُّذٍ: تعوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ..»[1].

- وعن إبراهيمَ بنِ الأشعثِ، قال: سمعتُ فُضيلًا يقولُ ذاتَ ليلةٍ وهو يقرأ سورةَ محمَّدٍ وهو يَبكي ويُردِّد هذه الآية: ﴿وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد:٣١]، وجعل يقول: ﴿وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ﴾، ويُرَدِّد: وتَبْلُو أخبارَنا؟! إنَّك إن بلوتَ أخبارَنا: فَضَحْتَنا، وهتكتَ أَسْتارَنا، إنَّك إن بلوتَ أخبارنا: أَهْلَكْتَنا، وعذَّبْتَنا.. ويبكي.

- عن مُوسَى بْنِ أبي عائشةَ رحمه الله، قال: كانَ رَجُلٌ يُصَلِّي فوقَ بيْتِهِ، وكانَ إذا قرأَ: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [القيامة:٤٠]، قالَ: «سُبْحَانَكَ»، فَبَكَى، فسألُوهُ عن ذلك، فقال: «سَمِعْتُهُ منْ رسولِ الله ﷺ»[2].

---

(١) صحيح مسلم، ١/ ٥٣٦، رقم (٧٧٢)، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل.

(٢) رواه أبو داود في سننه، ١/ ٢٩٦، رقم (٨٨٤)، كتاب الصلاة، باب الدعاء في الصلاة، وصححه الشيخ الألباني.

۞ وروى الترمذي: عن جابرٍ رضي الله عنه قال: خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ على أَصْحَابِهِ، فقرَأَ عليهمْ سُورَةَ الرَّحمنِ مِنْ أَوَّلِهَا إلى آخرِها؛ فَسَكَتُوا، فقال: لَقَدْ قَرَأْتُها على الجِنِّ ليلةَ الجِنِّ، فكانُوا أَحْسَنَ مَرْدُودًا منكم، كُنْتُ كُلَّمَا أَتيْتُ على قولِه: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن:١٣]، قالُوا: لا بشَيْءٍ مِنْ نِعَمِكَ رَبَّنا نُكَذِّبُ، فَلَكَ الحَمْدُ»[١].

۞ وقد روى ابنُ أَبي الدنيا، قال: حدَّثني حُيَيٌّ، قال: سمعتُ أبا عبدِ الرَّحمنِ الحُبُلِيَّ، يَذْكُرُ: أَنَّ عُقْبَةَ بنَ عامرٍ -وكانَ مِنْ أحسنِ النَّاسِ صوتًا بالقرآنِ-، فقالَ لهُ عمرُ: «اعْرِضْ عليَّ سُورَةَ ﴿بَرَآءَةٌ﴾ فقرَأَها عليهِ، فبكى عُمَرُ بُكاءً شديدًا، ثمَّ قال: «ما كُنْتُ أظُنُّ أَنَّهَا أُنْزِلَتْ»[٢].

وهذا إِنَّما يدلُّ على شدَّةِ تَفاعُله وتأثُّرِه بكتابِ الله عزَّ وجلَّ.

أما حالُ السَّلفِ الكرام، فإليك بعضًا منه:

فقد رَوى ابنُ أَبي الدُّنيا في «الرقة والبكاء» بإسناده عن عبدِ الله

(١) رواه الترمذي في سننه، ٥/ ٣٩٩، رقم (٣٢٩١)، كتاب تفسير القرآن، سورة الرحمن، من حديث جابر رضي الله عنه، وقال أبو عيسى: حديث غريب، وحسنه الألباني -رحمه الله-.

(٢) انظر: «الرقة والبكاء» (٧٦).

بنِ رباحٍ، قال: كانَ صَفوَانُ بْنُ مُحْرِزٍ إذا قرأ هذهِ الآيةَ: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧] بَكَى، حتَّى أَقُول: قَدِ انْدَقَّ قَضِيضُ زَوْرِهِ(١).

أَمَّا الأجرُ والثوابُ؛ فقد أعطى اللهُ عز وجل على التفاعل الأجرَ العظيم والثواب، فعنِ ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «عَينانِ لا تَمَسُّهُما النارُ: عينٌ بَكَت مِن خشيةِ الله، وعَينٌ باتَت تَحرُسُ في سبيلِ الله»(٢).

وغير ذلك من الأحاديث الدالة على عظيم هذا الفعل.



---

(١) انظر: «الرقة والبكاء» (٧٨).

(٢) أخرجه الترمذي في «السنن» (١٦٣٩)، وإسناده صحيح.

7
التطبيق والامتثال

وهو الغرضُ مِنَ التشريعِ، قال اللهُ تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة:٥].

وهو صفة المؤمنين، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [النور:٥١].

وقد رُوِيَ أَنَّ الفضيلَ بنَ عياضٍ كان شاطرًا يقطع الطريق بين أبيورد وسرخس، وكان سبب توبته: أنَّه عشق جاريةً، فبينما هو يرتقي الجدران إليها، إذا سمع تاليًا يتلوا: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد:١٦]، فلمَّا سَمِعَها، قال: بلى يا رب، قد آن، فرجع تائبًا إلى الله، وقال: اللهم إنِّي قد تبتُ إليكَ، وجعلت توبتي مجاورة البيت الحرام.

● يقول أبو عبد الرحمن السلمي -رضي الله عنه-: «كُنَّا إذا تَعَلَّمْنَا العشْرَ مِنَ القرْآنِ: لَمْ نَتَعَلَّمِ العشرَ التي بعدَها حتَّى نَتعَلَّمَ حلَالَها، وحرامَها، وأمرَها، ونهيَها».

● وهذا ثابت بن قيس بن شمَّاس -خطيب الأنصار- كان من عادتِه: أنَّه يرفع صوتَه أثناءَ الكلامِ، فلمَّا نزلت هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات:٢]، جلس ثابتُ بن قيس في بيتِه، وقال: «أنا مِن أهلِ النار».

واحْتَبَس عن النبي ﷺ، فسأل النبيُّ ﷺ سعدَ بن معاذ، فقال: «يا أبا عمرو! ما شأن ثابت، أَشتكى؟!».

قال سعد: إنَّه لجَاري، وما علمتُ له بشكوى.

قال: فأتاه سعدٌ، فذكر له قولَ رسولِ الله ﷺ.

فقال ثابت: أُنْزِلَتْ هذه الآية، ولقد علمتم أنِّي مِن أرفعكم صوتًا على رسول الله ﷺ، فأنا من أهل النار.

فذَكَرَ ذلك سعدٌ للنبيِّ ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «بل هو مِن أهلِ الجنَّةِ»[١].

---

(١) صحيح مسلم، ١/ ١١٠، رقم (١١٩)، كتاب الإيمان، باب مخافة المؤمن أن يحبط عمله، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

عن أنس بن مالكٍ -رضي الله عنه- قال: «كان أبو طلحة أكثرَ الأنصار بالمدينة مالًا من نخلٍ، وكان أحبَّ أمواله إليه: بَيْرُحَاءَ، وكانت مستقبلةَ المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلُها، ويشرب من ماءٍ فيها طيبٍ...».

قال أنس: «فلما أُنزلت هذه الآية: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران:٩٢]، قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ، فقال:

يا رسول الله! إنَّ الله -تبارك وتعالى- يقول: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران:٩٢]، وإن أحبَّ أموالي إليَّ بَيْرُحَاءَ، وإنها صدقةٌ لله؛ أرجو بِرَّها وذُخْرَها عند الله؛ فضَعْها يا رسول الله حيث أراكَ الله».

قال: فقال رسول الله ﷺ: «بَخٍ؛ ذلك مالٌ رابحٌ، ذلك مالٌ رابحٌ، وقد سمعتُ ما قلتَ، وإنِّي أرى أن تَجْعَلَها في الأقرَبِين»، فقال أبو طلحة: أَفْعَلُ يا رسول الله! فقسمها أبو طلحة في أقاربِه، وبني عمه»[1].

◉ ولما نزلت آية الحجاب بادر نساءُ الصحابةِ إلى الالتزام

---

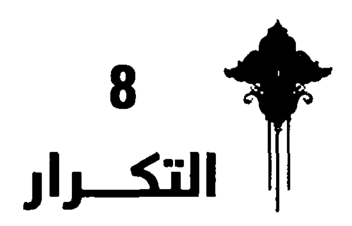
(١) صحيح البخاري، ٢/ ٥٣٠، رقم (١٣٩٢)، كتاب الزكاة، باب الزكاة على الأقارب، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

بها، ولما قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩٠-٩١].

قال عمر رضي الله عنه: «انتهينا انتهينا»[1].



(١) رواه الترمذي في سننه، ٥/ ٢٥٣، رقم (٣٠٤٩)، كتاب تفسير القرآن، سورة المائدة، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.



8
التكــرار

روي عن النبي ﷺ: أنَّه قامَ ليلةً كاملةً يُكرِّرُ قولَه تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة:١١٨].

قال ابن القيم -رحمه الله-: «حتى إذا مرَّ بآيةٍ وهو محتاجٌ إليها في شفاءِ قلبِه، كرَّرها ولو مئةَ مرَّة، ولو ليلةٍ، فقراءةُ آيةٍ بتفكُّر وتفهُّم خيرٌ مِن قراءةِ ختمةٍ بغير تدبر وتفهم، وأنفع للقلب، وأدعى إلى حصول الإيمان، وذوق حلاوة القرآن»(١).

● عن عبَّاد بن حمزة، قال: «دخلت على أسماءَ، وهي تقرأ: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ [الطور:٢٧]، قال: فَوَقَفَتْ عليها، فجعلتْ تستعيذُ وتدعو، قال عبَّادُ: فذهبت إلى السوقِ، فقضيت حاجتي ثُمَّ رجعتُ، وهي فيها -بعدُ- تستعيذُ وتدعو»(٢).

---

(١) مفتاح دار السعادة، لابن القيم، ١/ ١٨٧.
(٢) مصنف ابن أبي شيبة، ٢/ ٢٥، رقم (٦٠٣٧).

وعن القاسم بن أبي أيوب: أَنَّ سعيدَ بن جبير رَدَّدَ هذه الآيَةَ: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٨١] بضعًا وعشرين مرَّةً[1].

وقال محمد بن كعب القرظي: لأنْ أقرأ: ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا﴾ [الزلزلة:١]، و: ﴿ٱلۡقَارِعَةُ﴾ [القارعة:١]، أرددهما وأتَفَكَّر فيهما: أحبُّ مِن أن أَبِيتَ أهُذُّ القرآنَ[2].

وَرَدَّدَ الحسنُ البصريُّ ليلةً: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [النحل:١٨] حتَّى أصبحَ، فقيل له في ذلك؟ فقال: «إنَّ فيها معتبرًا ما نرفع طرفًا ولا نردُّه إلا وقع على نعمةٍ، وما لا نعلمه من نعم الله أكثر»[3].

وقد قام تميمٌ الدَّاري بآيةٍ حتَّى أصبحَ: ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ [الجاثية:٢١][4].

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة، ٧/ ٢٠٣.
(٢) الزهد، لابن المبارك، ص٩٧.
(٣) مختصر قيام الليل، للمروزي، ص١٥١.
(٤) مختصر منهاج القاصدين، ص٦٨.

قال ابن القيم: «هذه عادة السَّلَف يُرِدِّدُ أَحدُهم الآيَةَ إلى الصُّبحِ»[1].

◉ قال النووي: «وقد بات جماعةٌ مِنَ السَّلَف يتلو الواحدُ منهم الآيَةَ الواحدةَ ليلةً كاملةً -أو: معظمها- يتدبَّرُها عند القراءةِ»[2].

◉ قال ابن قُدامة: «وليعلم: أَنَّ ما يقرأُه ليس كلامَ بشرٍ، وأن يستحضر عظمةَ المُتَكَلِّم سبحانه، ويتدبَّر كلامَه؛ فإنَّ التَّدَبُّر هو المقصود منَ القراءةِ، وإن لم يحصل التَّدَبُّر إلاَّ بترديدِ الآيةِ؛ فليُرَدِّدْها»[3].



(١) مفتاح دار السعادة، ١/ ٢٢٢.
(٢) الأذكار، للإمام النووي، ١/ ٥٠.
(٣) مختصر منهاج القاصدين، ص٦٨.



9 التركيـز

وهو تواطؤُ القلبِ مع اللِّسانِ، ومما يُعين عليه:

أوَّلًا: معرفةُ أَنَّ القراءةَ خطابٌ مباشرٌ مِنَ الله -عزَّ وجلَّ- لجميعِ البشرِ، يشملُ أسئلةً وإجاباتٍ، ووعدًا ووعيدًا، وأوامرَ ونواهي، فالتجاوب مع تلك العناصر يُساعِدُنا على زيادة التركيز عند القراءةِ، وعدم السَّرَحانِ.

ثانيًا: المكان الهادئ يُعينُ على التركيزِ، وحسنِ الفهمِ، وسرعةِ التجاوب مع القراءةِ، ويسمح لنا كذلك بالتعبير عن مشاعرِنا إذا ما استُثيرت بالبكاءِ والدعاءِ.

ثالثًا: مراعاةُ أوقاتِ التلاوةِ، وأن يكون ذلك في وقتِ النشاطِ والتركيزِ، لا في وقت التَّعبِ والرغبةِ في النومِ، قال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل:٦].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «وناشئةُ الليلِ في أصحِّ القولين: إنَّما تكونُ بعد النومِ، يُقالُ: نشأَ إِذا قامَ بعد النومِ، فإذا قامَ بعد النوم: كانت مواطأةُ قلبِه للسانِه أشدَّ؛ لعدمِ ما يَشغلُ القلبَ، وزوالِ أثرِ حركةِ النهارِ بالنومِ، وكان قولُه أقومَ»[1].

رابعًا: يستحبُّ الوضوءَ والسِّواكَ، قبل البدء بالعبادة والطاعة، وهي من سنة المصطفى ﷺ.



(١) الفتاوى الكبرى، لابن تيمية (٢/ ٢٠٧).



10
التفهُّم

ومحلُّه: القلبُ، وهو آلةُ الفهمِ والعقلِ، قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾ [الكهف:٥٧].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فأخبر أنَّهم لا يَفْقَهُون بقلوبِهم، ولا يسمعونَ بآذانهم، ولا يُؤمِنُونَ بما رأوه مِنَ النارِ كما أخبر عنهم، حيث قالوا: ﴿قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ [فصلت:٥]، فذكروا الموانعَ على القلوبِ، والسمعُ والأبصارُ وأبدانُهم حيَّةٌ تسمعُ الأصواتَ، وترى الأشخاصَ، لكن حياةُ البدنِ بدون حياةِ القلبِ مِن جنسِ حياةِ البهائمِ، لها سمعٌ وبصرٌ، وهي تأكُلُ وتشربُ وتنكحُ»[١].

وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج:٤٦].

---

(١) أمراض القلوب وشفاؤها، لابن تيمية (١/ ١٠).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «والقلبُ هو المَلِكُ، والأعضاءُ جنودُه، وإذا صَلُحَ: صَلُحَ سائرُ الجسدِ، وإذا فسدَ: فسدَ سائرُ الجسدِ، فيبقى يَسْمَعُ بالأذنِ الصوتَ كما تسمعُ البهائمُ، والمعنى: لا يَفْقَهُهُ، وإن فَقِهَ بعضَ الفقهِ: لم يَفْقَه فقهًا تامًّا، فإنَّ الفقهَ التامَّ يستلزمُ تأثيرُه في القلبِ محبَّةَ المحبوبِ، وبغضَ المكروهِ؛ فمتى لم يحصل هذا: لم يكن التصوُّر التامُّ حاصلًا؛ فجازَ نفيُه، لأَنَّ ما لم يتمَّ يُنفَى؛ كقولِه للذي أساءَ في صلاتِه: «صلِّ؛ فإنَّك لم تُصَلِّ»..»[1].

وقـــال تعـــالى: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ ﴾ [الأحزاب:٤].

ويُحكَى: أَنَّ أعرابيًّا كان يستمعُ لقارئٍ، فقرأَ قولَه تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [المائدة:٣٨]، فأخطأ القارئُ، فقال: والله غفور رحيم، فاستنكرَ الأعرابيُّ ذلك، ولم يقتنع بأنَّ الله أنزلَ هذا، فاستدرك القارئ؛ فوجد أنَّه قد أخطأَ، فأعادها على الصواب، فقال الأعرابي: الآن نعم، عزَّ، فحكمَ، فقطعَ.

فأمرَ اللهُ عزَّ وجلَّ بتفهُّمِ القرآن وتعقُّلِه، وعلى هذا سار الأنبياء والصالحون رضوان الله عليهم.

---

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٧/ ٢٧).



11 التذكُّر

قال ابن منظور: «الذِّكر: الحفظُ للشيءِ تَذْكُره.

والذِّكرُ -أيضًا-: الشيءُ يَجري على اللِّسانِ»(١).

وقال الكفوي: «التذكُّر؛ هو: محاولة النفس استرجاع ما زال من المعلومات.

والذكر؛ هو: رجوع الصورة المطلوبة إلى الذهن»(٢).

قال ابن القيّم- رحمه الله-: «والتَّذكُّرُ تفعُّل مِنَ الذِّكر، وهو ضدُّ النِّسيانِ، وهو حضورُ صورةِ المذكورِ العلميَّةِ في القلبِ، واختيرِ له بناء التَّفعُّل لحصولِه بعد مُهلةٍ وتدرُّجٍ، كالتَّبصُّرِ والتفهُّمِ والتعلُّم»(٣).

---

(١) لسان العرب، مادة (ذكر)، ٤/ ٣٠٨ .

(٢) الكليات، لأبي البقاء الكفوي (ص٦٧).

(٣) مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية، ١/ ٤٤٠ .

وفي الاصطلاح: يأتي بمعني الاعتبار، والاتعاظ، والتفكُّر، والانتباه.

ومنه قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص:٢٩].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الزمر:٢٧].

وقوله تعالى عنِ ابنِ أُم مَكتومٍ: ﴿أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ﴾ [عبس:٤].

قال الطبريُّ -رحمه الله-: «يعني: يعتبر؛ فينفعُه الاعتبارُ والاتعاظُ».

ولا بد من الفهم أولًا حتَّى يصلَ الإنسانُ إلى التَّذكُّرِ والتفكُّرِ.

قال الطبريُّ بعد أن ذكرَ الآياتِ الدالَّةِ على التذكُّر: «وما أشبَه ذلك مِن آي القرآنِ التي أمرَ اللهُ عبادَه وحثَّهم فيها على الاعتبارِ بأمثالِ آي القرآنِ، والاتِّعاظِ بمواعظِه: ما يدلُّ على أنَّ عليهم معرفةَ تأويلِ ما لم يُحجب عنهم تأويلُه مِن آيِهِ؛ لأنَّه محالٌ أن يُقال

لمن لا يَفهمُ ما يُقال له ولا يعقِل تأويلَه: (اعتبرْ بما لا فَهْم لك به، ولا معرفةَ مِنَ القِيل والبيان والكلام)؛ إلّا على معنى الأمرِ بأن يَفهمَه ويفقَهَه، ثم يَتدبَّره ويعتبرَ به، فأما قبلَ ذلك، فمستحيلٌ أمرُه بتدبُّرِه وهو بمعناه جاهلٌ.

كما محالٌ أن يُقال لبعضِ أَصنافِ الأممِ الذين لا يَعقلون كلامَ العربِ ولا يفهمونَه، لو أُنشِد قصيدةَ شعرٍ مِن أشعارِ بعض العربِ ذاتَ أمثالٍ ومواعظ وحِكم: (اعتبر بما فيها مِنَ الأمثالِ، وادَّكر بما فيها مِنَ المواعظ)، إلا بمعنى الأمر لها بفهم كلامِ العرب ومعرفتِه، ثم الاعتبار بما نبَّهها عليه ما فيها من الحكم، فأَمَّا وهي جاهلةٌ بمعاني ما فيها مِنَ الكلامِ والمنطقِ، فمحالٌ أمرُها بما دلَّت عليه معاني ما حوته من الأمثالِ والعِبَر، بل سواء أمرُها بذلك، وأمرُ بعضِ البهائم به، إلا بعدَ العلم بمعاني المنطق والبيان الذي فيها.

فكذلك ما في آي كتابِ الله مِنَ العبرِ والحِكم والأمثالِ والمواعظِ، لا يجوز أن يقال: (اعتبرْ بها) إلا لمن كان بمعاني بيانه عالمًا، وبكلام العرب عارفًا؛ وإلا بمعنى الأمر -لمن كان بذلك منهُ جاهلًا- أنْ يعلم معاني كلام العرب، ثم يتدبَّره بعدُ، ويتعظ بحِكَمِه وصُنوف عِبَرِه.

فإذْ كان ذلك كذلك -وكان الله جلَّ ثناؤه قد أمر عباده بتدبُّره وحثَّهم على الاعتبار بأمثاله- كان معلومًا أنَّه لم يأمر بذلك مَن كان بما يدُلُّ عليه آيُه جاهلًا، وإذْ لم يجز أن يأمرهم بذلك إلَّا وهُمْ بما يدلهم عليه عالمونَ: صحَّ أنَّهم بتأويل ما لم يُحجَبْ عنهم علمه مِن آيه الذي استأثرَ اللهُ بعلمِه منه دون خلقِه، الذي قد قدّمنا صفَته آنفًا- عارفونَ».

ومن الأمثلة على ذلك: أن رجلًا أعرابيًّا جلس أَمامَ النبيِّ ﷺ، وجعل النبيُّ ﷺ يقرأُ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة:١]، والرجلُ يَسْرَحُ في معاني الآياتِ، حتَّى وصلَ النبيُّ ﷺ إلى آخرِ السورةِ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة:٧ - ٨]، فقال الأعرابيُّ: يا رسول الله! أمثقال ذرَّةٍ؟! قال: «نعم»، فقال الأعرابيُّ: واسوأتاهُ! مرارًا، ثم قامَ وهو يقولُها، فقال رسول الله ﷺ: «لقد دخلَ قلبَ الأعرابيِّ الإيمانُ»[1].

العلاقة بين التَّذكُّرِ والتَّفكُّرِ:

قال ابن قيّم الجوزية: «فمنزلة التَّذكُّر مِنَ التفكُّر منزلةُ حصولِ الشيء المطلوبِ بعد التفتيشِ عليه، ولهذا كانت آياتُ الله المتلوَّةُ

(١) فضائل القرآن للقاسم بن سلام، رقم: ٤٥٠.

والمشهودةُ ذكرى، كما قال في المتلوَّة: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[غافر: ٥٣-٥٤]، وقال عن القرآن: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الحاقة:٤٨]، وقال في آياتِه المشهودَةِ: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق: ٦- ٨].

فالتَّبصرةُ آلةُ البصرِ، والتّذكرةُ آلةُ الذِّكر، وقرنَ بينهما وجعلَهُما لأهلِ الإنابةِ؛ لأنَّ العبدَ إِذا أَنابَ إِلى الله أبصرَ مواقعَ الآياتِ والعبرِ، فاستدلَّ بها على ما هي آيات له، فزالَ عنه الإِعراضُ بالإِنابةِ، والعمى بالتَّبصرةِ، والغفلة بالتَّذكرةِ؛ لأنَّ التَّبصرةَ توجبُ له حصول صورةِ المدلولِ في القلب بعد غفلتِه عنها.

فترتيبُ المنازلِ الثلاثة أحسن ترتيب، ثمَّ إِنَّ كلًّا منها يمدُّ صاحبَه ويقوِّيه ويثمره.

وقال تعالى في آياتِه المشهودةِ: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ

لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق: ٣٦ - ٣٧].

والناسُ ثلاثةٌ:

الأول: رجلٌ قلبُه ميِّت، فذلك الذي لا قلبَ له، فهذا ليست الآية ذكرى في حقِّه.

والثاني: رجلٌ له قلبٌ حيٌّ مستعدٌّ، لكنَّه غير مستمع للآيات المتلوَّة، التي يُخبِرُ بها اللهُ عن الآيات المشهودةِ، إمَّا لعدمِ ورُودِها، أو لِوُصولِها إليهِ، ولكنَّ قلبَه مشغولٌ عنها بغيرِها، فهو غائبُ القلبِ ليس حاضرًا، فهذا أيضًا لا تحصلُ له الذِّكرَى، مع استعدادِه ووجودِ قلبِه.

والثالث: رجل حيُّ القلبِ مستعدٌّ، تُليت عليه الآيات، فأصغى بسمعِه، وألقى السمعَ وأحضرَ قلبَه، ولم يشغله بغير فهمِ ما يَسمَعُه، فهو شاهدُ القلبِ، ملقي السَّمع، فهذا القسمُ هو الَّذي ينتفعُ بالآيات المتلوَّةِ والمشهودةِ.

فالأوَّل: بمنزلةِ الأعمى الذي لا يُبصِرُ.

والثاني: بمنزلةِ البصير الطامح ببصرِه إلى غير جهةِ المنظورِ إليهِ، فكلاهما لا يراهُ.

والثالث: بمنزلةِ البصير الذي قد حدَّق إلى جهة المنظورِ، وأتبعه بصره، وقابله على توسُّطٍ مِنَ البعدِ والقربِ، فهذا هو الذي يراهُ.

فسبحان مَن جُعِلَ كلامُه شفاءً لما في الصُّدورِ»[1].

وبالتذكُّر والتفكُّرِ يعيشُ الإنسانُ مع القرآنِ حياةً جميلةً، وهذا ما كان يفعله نَبِيُّنا ﷺ، فقد كان القرآن له زادًا ومنهاجًا، وكان يتذاكرُه دائمًا، فالقرآنُ حياةُ القلوبِ، ومنهج حياةٍ، ونورُ الدروبِ.

فالعيش مع القرآنِ الكريمِ مِن أعظمِ السُّبلِ إلى فهم أحكامِه، والوقوفِ على معانيهِ، وإدراكِ حِكَمِه ومقاصدِه، وقد عاشَ الصحابةُ الكرامُ هذه التجربةَ التي عاشَها الرسولُ ﷺ.

فعلى مَن يتدبَّر القرآنَ الكريمَ: أَن يُعايشَ القرآنَ بجوارحِه وروحِه وأركانِه، وخلجاتِه وبمشاعرِه ووجدانِه، عند ذلك تتجلَّى الحقائقُ، وتنفجرُ ينابيعُ المعني والمعرفةِ.

قال ابن قيم الجوزية: «إذا أردتَ الانتفاعَ بالقرآنِ؛ فاجمع قلبَك عند تلاوتِه وسماعِه، وألقِ سمعكَ، واحضر حضورَ مَن يخاطبُه به

---

(١) مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية، ١/ ٤٤٠ .

مَن يتكلم به سبحانه منه إليه...»[1]، لذا فلا بد مِن صفاءِ القلبِ والنَّفسِ، وتفرغ القلب من هموم الدنيا ومشاغلها.

وهذا عثمانُ رضي الله عنه، قال: «لو أنَّ قلوبَنا طَهُرَت: ما شَبِعْنَا مِن كلام ربِّنا، وإنِّي لأكرَهُ أن يأتيَ عليَّ يومٌ لا أنظرُ في المصحفِ»[2].



(١) الفوائد، شمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، ص ٣، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط٢.

(٢) شعب الايمان، للبيهقي ج ٢/ ص٢٠٩- دار الكتب العلمية - بيروت، ط١ - ١٤٠٠.



12 التأسّي

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب:٢١].

قال ابنُ كثير -رحمه الله-: «هذه الآيةَ أصلٌ كبيرٌ في التأسِّي برسول الله ﷺ في أقوالِه وأفعالِه وأحوالِه، ولهذا أُمِر الناس بالتأسِّي بالنبيِّ ﷺ يومَ الأحزاب في صَبرِه ومُصابرتِه ومرابطتِه ومجاهدتِه، وانتظارِه الفرجَ مِن ربِّه عز وجل»(١).

قال شيخنا الوالد عبد العزيز بن باز -رحمه الله-: «والواجب علينا أن نتأسَّى برسول الله ﷺ في كلِّ أعمالِنا وأحوالِنا، في الحجِّ وفي غيرِه؛ لأنَّ اللهَ أمرَنا بطاعتِه ومتابعتِه والاقتداءِ به، ووعدَ على ذلك محبَّته وجنَّته ورضوانَه، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران:٣١]، وقال سبحانه: ﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ١١/ ١٣٣.

ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران:٣٢]، وقال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء:٨٠]، وقال سبحانه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر:٧].

وقد حذَّرنا اللهُ تعالى مِن مخالفةِ أمره، فقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣].

فإنَّ بيانَ المشروعِ مِنَ العباداتِ والأعمالِ لا يُعرَف إلَّا مِن طريقِ رسول الله ﷺ، الذي أمرَه اللهُ أن يُبيِّنَ للنَّاسِ ما نُزِّلَ إليهم مِن ربِّهم، فقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل:٤٤].

لذلك أَمرَنا الرسولُ ﷺ أن نأخذَ عنه مَناسِكَنا، كما أَمرَنا أن نُصَلِّيَ كما كان يُصلِّي، وقد قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٢١]»[1].

ومن جملة ما يُتأَسَّى به: تلاوة كتاب الله، وتدبره والعمل به، وقد ذكرنا فيما مضى مِن كتابنا هذا الشيء الكثير مما يُقتدى ويُتأَسَّى به.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ١١/ ١٣٣.



13
التدرُّج

قال ابن فارس: «الدال، والراء، والجيم: أصلٌ واحدٌ يدلُّ على مضي الشيءِ، والمضيُّ في الشيءِ.

من ذلك قولهم: درجَ الشيءُ: إِذا مضى لسبيلِه.

ورجع فلانٌ أدراجَه، إذا رجعَ في الطريقِ الَّذي جاءَ منه.

ودرج الصبي: إِذا مشى مِشْيَتَه»(١).

واستدرجه إلى كذا، واستدرجه، بمعنى: أدناه منه على التدريج(٢).

والواجب على المرء أن يتدرَّج في تعلُّم القرآن الكريم، وتعلم أحكامه وأحكام تلاوته، وتجويده، حتى يصل التدرج به إلى مرحلة التفكر والتدبر.

---

(١) مقاييس اللغة، لابن فارس، مادة (درج)، ٢/ ٢٧٥ .
(٢) الصحاح، للجوهري، ١/ ٣١٤.

وليستعن بالله عز وجل على ذلك، ولا ييأس، وليطلب من ربه دومًا العون والفتح في فهم آيات كتابه.

قال الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني في كتابه «مناهل العرفان في علوم القرآن»: «وخذ نفسَك أنتَ بالغوصِ في طلب أسرارِه البيانيَّةِ على ضوء هذا المصباح، فإن عَمِيَ عليك وجهُ الحكمةِ في كلمةٍ منه أو حرفٍ، فإيَّاك أن تعجل كما يعجل هؤلاء الظانُّونَ، ولكن قُل قولًا سديدًا هو أدنى إلى الأمانةِ والإنصافِ، قل: الله أعلم بأسرارِ كلامِه، ولا علمَ لنا إلا بتعليمِه، فعسى اللهُ أن يفتح لك بابًا مِنَ الفهم تكشفُ به شيئًا مما عَمِيَ على غيرِك: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة:٢٥٧]».

ويقول السعدي -رحمه الله-: «وكان حقيقًا بالعبد أن يبذلَ جهدَه، ويستفرغَ وسعَه في تَعلُّمِه وتفهُّمِه بأقرب الطرق الموصلةِ إلى ذلك، فمَن وُفِّقَ لذلك: لم يبقَ عليه إلا الإقبال على تدبُّرِه وتفهُّمِه، وكثرة التفكُّرِ في ألفاظه ومعانيهِ ولوازمها، وما تتضمَّنُه، وما تدلُّ عليه منطوقًا ومفهومًا، فإذا بذل وسعه في ذلك؛ فالربُّ أكرمُ من عبده، فلا بُدَّ أن يفتحَ عليه مِن علومِه أُمورًا لا تدخل تحت كسب»[1].

---

(١) تيسير الكريم المنان، للسعدي، ص ٣٠.

14
التذاكـــر

وهو المدارسة، والمذاكرة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران:٧٩].

وقوله ﷺ: «وما اجتمع قومٌ في بيتٍ مِن بيوتِ الله يتلونَ كتابَ الله ويتدارَسُونَه بينهم، إلَّا نزلت عليهمُ السكينةُ، وغشيتهم الرحمةُ، وحفَّتْهُمُ الملائكةُ، وذكرَهم اللهُ فيمن عندَه»(١).

وعنِ ابنِ عباس -رضي الله عنهما-: «كان رسولُ الله ﷺ أجودَ الناسِ، وكان أجودَ ما يكون في رمضان حين يلقاهُ جبريلُ، وكان يلقاهُ في كلِّ ليلةٍ من رمضان، فيُدارسه القرآنَ، فلَرَسُولُ الله

---

(١) صحيح مسلم، ٤/ ٢٠٧٤، رقم (٢٦٩٩)، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ﷺ أجودُ بالخيرِ مِنَ الرِّيحِ المرسلةِ»[1].

- ومن صور المدارسة:

ما روي عن عائشةَ -أم المؤمنين، رضي الله عنها- أنها قالت: سألتُ النبيَّ ﷺ عن هذه الآيةِ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون:٦٠]، هم الذين يَشربونَ الخمرَ ويسرقونَ؟ قال: «لا، يا ابنةَ الصديق! ولكنَّهم الذين يصومون ويصلُّونَ ويتصدقون، وهم خائفون أن لا يقبل منهم: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون:٦١].

ومنه: ما كان من فعلِ مجاهد -رحمه الله-، حين قال: «عرضتُ القرآنَ على ابنِ عباسٍ رضي الله عنه مِن فاتحتِه إلى خاتمتِه ثلاثَ عرضاتٍ، أَقِفُه عند كلِّ آيةٍ»[2].



(١) صحيح البخاري، ١/ ٦، رقم (٦)، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٠٢٨٧).

15
التضــرُّع

وهو الدعاءُ بإلحاح أَن يفتحَ اللهُ على العبدِ مِن فضلِه.

قال الفَرَّاء: «فُلانٌ يتضَرَّع، ويتصدَّى؛ أي: أَنَّه سأَل مُتذلِّلًا وبِتضرُّعٍ».

ومنه قولُه سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ [الأنعام:٤٢].

وقولُه سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ [الأعراف:٩٤].

أي: لعلَّهم يلجأونَ إلى الله ويتذلَّلُونَ إِليهِ في طلبِ ما يحتاجونَه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «ولفظُ الدُّعاءِ في القرآنِ يتناولُ هذا وهذا، الدُّعاء بمعنى العبادةِ، أَو: الدعاءُ بمعنى المسألةِ، وإن كان كلٌّ منهما يستلزمُ الآخرَ، لكنَّ العبدَ قد تنزلُ به النازلةُ، فيكون مقصودُه: طلبُ حاجتِه، وتفريجُ كرباتِه،

فيسعى في ذلك بالسؤالِ والتضرُّعِ، وإن كان ذلك مِنَ العبادةِ والطاعةِ، ثم يكون في أَوَّلِ الأمرِ قصدُه حصول ذلك المطلوبِ: مِنَ الرزقِ، والنصرِ، والعافيةِ مُطلقًا، ثمَّ الدعاءُ والتضرُّعُ يفتحُ له مِن أبوابِ الإيمان بالله عزَّ وجلَّ ومعرفتِه ومحبَّتِه، والتنعُّمِ بذكرِه ودعائِه، ما يكونُ هو أَحبَّ إليهِ وأعظمَ قدرًا عنده مِن تلك الحاجةِ التي همَّته.

وهذا مِن رحمةِ الله بعبادِه، يسوقُهُم بالحاجاتِ الدنيويَّةِ إلى المقاصدِ العليَّةِ الدينيَّةِ»[1].

ومن الأمثلة على ذلك: ما قاله ابن عبد الهادي، عن شيخ الاسلام ابن تيمية: «كان -رحمه الله- يقول: رُبَّما طالعتُ على الآيةِ الواحدةِ نحو مائة تفسير، ثم أسأل الله الفهمَ! وأقول: يا معلِّمَ آدم وإبراهيم علِّمني!

وكنت أذهبُ إلى المساجدِ المهجورةِ ونحوِها، وأُمَرِّغُ وجهي في الترابِ، وأسألُ اللهَ تعالى، وأقولُ: يا معلِّمَ إبراهيمَ فهِّمْني!»[2].



---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لابن تيمية، ٢/ ٣١٢.
(٢) العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، لابن عبد الهادي، ١/ ٤٢ .



16 التباكي

وهو تَكلُّفُ البكاءِ، ويُروَى فيه مرفوعًا: «إن لم تَبْكُوا؛ فتباكوا»(١).

وقد قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- يومًا للنبيِّ ﷺ -وقد رآه يبكي هو وأبو بكر في شأن أسرى بدر-: أخبرني ما يُبكِيكَ يا رسولَ الله؟ لئن وجدتُ بكاءً بَكيتُ، وإن لم أجد: تباكيتُ لبكائكما، ولم ينكر عليه النبيُّ ﷺ.

ومما يروى -أيضًا- ما رواه بشرُ بن الحكم النيسابوري: أن امرأةَ الفضيلِ كانت تقولُ: لا تقرؤا عند ابني بالقرآنِ، قال بشرٌ: وكان إذا قُرئ عنده القرآنُ غُشِيَ عليه، قال بشرٌ: وكان ابنُ الفضيلِ لا يقدرُ على قراءةِ القرآنِ، فقال لأَبيهِ: يا أبتِ! ادعُ اللهَ لعلِّي أستطيعُ

---

(١) أخرجه ابن ماجه في «السنن» (١٣٣٧) وإسناده ضعيف.

أن أختمَ القرآنَ مرَّةً واحدةً[1].

ولما اشتدَّ برسولِ الله ﷺ وَجَعُهُ، قيل له في الصَّلاةِ، فقال: «**مُرُوا أبا بكرٍ؛ فليُصَلِّ بالنَّاسِ**»، قالت عائشةُ: إنَّ أَبا بكرٍ رجلٌ رقيقٌ، إذا قَرَأَ: غَلَبَهُ البكاءُ! قال: «**مروهُ؛ فليُصَلِّ**»[2].

فيا لله العجب من حال هؤلاء الكرام، كيف تعلَّقت قلوبهم بكتاب الله، فتأثرت به، وبكت من خشيته، واهتزت لآياته.

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر:٢٣].

ومما روي عن عبد الله بن عروة بن الزبير، قال: قلتُ لجدَّتِي أسماءَ: كيف كان أصحابُ رسول الله ﷺ إذا سمعوا القرآنَ؟ قالت: تَدْمَعُ أَعينُهم، وتَقْشَعِرُّ جلُودُهم، كما نعتَهم الله[3].

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان، ٢/ ٣٦٦، رقم (٢٠٦٤).
(٢) صحيح البخاري، ١/ ٢٤١، رقم (٦٥٠)، كتاب الجماعة والإمامة، باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة.
(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان، ٢/ ٣٦٥، رقم: (٢٠٦٢).

وقد قَدِمَ أُناسٌ مِن أَهلِ اليمنِ على أبي بكرٍ الصدِّيق رضي الله عنه، فجعلوا يقرؤونَ القرآنَ ويبكونَ، فقال أبو بكرٍ الصديقُ رضي الله عنه: «هكذا كنَّا»[1].

وعن حمَّادٍ، قال: كان ثابت يقرأ بتلك الآية: ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ [الكهف:٣٧]، وهو يُصلِّي صلاةَ الليلِ، يَنْتَحِبُ ويُرَدِّدُها[2].

وهذا أُبيُّ بن كعب رضي الله عنه، يقول له النبي ﷺ: «إِنَّ الله عزَّ وجل أمرني أن أقرأ عليكَ»، قال: آلله سمَّاني لك؟! قال: «اللهُ سمَّاك لي»، قال: فجعل أُبيٌّ يبكي.

وفي رواية: «إِنَّ اللهَ أمرني أن أقرأ عليكَ: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البينة:١]»، قال: وسمَّاني لك؟! قال: «نعم»، قال: فبكى[3].

وقد روى البيهقي في كتابه «شعب الإيمان»، قال: كان عمرُ بن الخطاب يمرُّ بالآيةِ في وِرْدِه، فتُخِيفُه، فيبكي، حتى يسقطَ، ويلزم

(١) ذكره النووي في التبيان في آداب حملة القرآن، ص٦٩.
(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان، ٢/ ٣٦٦، رقم (٢٠٦٣).
(٣) صحيح مسلم، ٤/ ١٩١٤، رقم (٧٩٩)، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل أبي بن كعب وجماعة من الأنصار رضي الله تعالى عنهم.

بيته اليوم واليومين حتَّى يُعادَ، ويحسبونه مريضًا[1].

وعن علقمةَ بنِ وقاص، قال: صلَّيتُ خلفَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه عشاءَ الآخر، فقرأ بسورة يوسف، فلما أتى على ذكرِ يوسف: نشجَ عمرُ حتَّى سَمِعتُ نشيجَه، وإنِّي لفي آخرِ الصفِّ[2].

وقد روى ابنُ أبي الدنيا في «الرقة والبكاء» بإسنادِه عنِ ابنِ عُمرَ: أَنَّه كان إِذا أَتى على هذهِ الآيةِ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد:١٦] بَكَى حتَّى يَبُلَّ لِحْيَتَهُ البُكاءُ، ويقولُ: «بلى يا رَبِّ»[3].



(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان، ٢/ ٣٦٤، رقم (٢٠٥٦).
(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان، ٢/ ٣٦٤، رقم (٢٠٥٨).
(٣) انظر: «الرقة البكاء» (٧٧).



17 التحزيب

وهو أن يجعلَ الإنسانُ لنفسِه نصيبًا يوميًّا يقرؤُه ويتعاهدُ نفسَه عليه، بحيث يختمُ القرآنَ كلَّ شهرٍ، أو عشرين، أو خمسة عشر، أو عشر، أو سبع، أو غير ذلك.

فعن عمرَ بنِ الخطَّابِ -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن نام عن حزبِه، أو عن شيءٍ منه، فقرأه فيما بين صلاة الفجرِ وصلاةِ الظهرِ: كُتِبَ له كأنَّما قرأَهُ الليلَ»[1].

وفي هذا دليلٌ على أنَّ السنةَ أن يَجعلَ الإنسانُ لنفسِه وردًا يوميًّا يقرأه في يومِه، ويتعاهده، ويحافظ عليه، فإذا نسيَه: قرأه في اليوم الذي يليه.

فقد سلفنا الصالح -رضوان الله عليهم- يحافظون على وِرْدِهم

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه، ١/ ٥١٥، رقم (٧٤٧)، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض.

مِن كتاب الله تعالى، فقلَّما تقرأُ في ترجمة أحدِهم إلَّا وتجدُ أَنَّه كان يختمُ القرآنَ في كذا وكذا.

وأما اليوم؛ فالغالب في أحوال أهل زماننا: أنَّها تتَّسِمُ بالتقصيرِ والتفريطِ في تلاوةِ القرآنِ، وملازمة ذلك، والمداومة عليه، حتى أضحى تحزيبُ القرآنِ مِنَ السُّنن المهجورة وللأسف الشديد.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [غافر:٢٩-٣٠].

ففي هذه الآية مدحٌ للذين يداومونَ على قراءةِ كتابِ الله، وجاء وصفهم بالفعل المضارع ﴿يَتْلُونَ﴾ لإفادة المداومةِ والاستمرارِ.

وكان مُطرِّفُ بنُ عبد الله يُسمِّي هذه الآيَةَ: آيةَ القُرَّاء.

ولا أدل على ذلك من قول نبيِّنا -عليه الصلاة والسلام-: **«مثلُ المؤمنِ الذي يقرأُ القرآنَ ويعملُ به؛ كالأُترُجَّةِ: طَعْمُها طيِّبٌ، ورِيحُها طيِّبٌ..»**[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٢٠)، ومسلم (٧٩٧) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

وقوله -عليه الصلاة والسلام-: «**يُقال لصاحبِ القرآنِ: اقرأ وارق، ورتِّل كما كنتَ تُرَتِّلُ في الدنيا؛ فإِنَّ منزلتَكَ عند آخرِ آيةٍ تَقْرَؤُها**»[1].

◉ طريقة تحزيب السلف الصالح للقرآن الكريم:

◉ مجموعة في كلمة (فمي بشوق):

الفاتحة المائدة يونس

بني إسرائيل الشعراء الصافات

ق الناس

(١) أخرجه أبو داود في «السنن» (١٤٦٤)، والترمذي في «السنن» (٢٩١٤)، وإسناده صحيح.



18
التقعيد

وهو التأصيل والتفنيد، والمقصود هنا: ما وضعه علماءُ التدبُّرِ مِن قواعد وخطوات لتدبُّرِ القرآن الكريم، وكذلك ما وضعه علماءُ التفسير، والنحو، والبلاغةِ، وعلماء التجويد من قواعد تُعِينُ على فهم القرآنِ الكريم وتدبُّرِه، ومن ذلك:

أولًا: الاهتمام باللغة العربية:

فهي لغة القرآن، والواجب على من أراد أن يتدبر القرآن أن يتعلَّم لغته؛ ليفهم معانيه، وطرائقه في التعبير، وأساليبه في البيان، كمثل الحذف والإيجاز والإطناب، والتقديم والتأخير، والالتفات، وغيره من الأغراض البيانية.

وكذلك معرفة معاني الكلمات العربية ومفرداتها، ليعرف المقصود الحقيقي منها؛ كمعرفة معنى الإيمان، والعلم، واليقين،

والظن، والصوم، والصلاة، والزكاة، والحج، والجهاد، والولاء، والبراء.. وغيرها.

فالواجب على المسلم المتدبِّر للقرآن أن يكون على قدرٍ من هذه العلوم، وإلا جَهِل الأساس الذي يفهم به القرآن.

ثانيًا: دراسة سيرة الرسول ﷺ:

فإن دراسةَ سيرةِ الرسول ﷺ ومعرفة أخلاقِه وشمائِله، والإلمام بأقواله وأفعاله سبيل لتدبر القرآن الكريم، ومنه قول عائشة رضي الله عنها لَمَّا سُئِلت عن خُلُق الرسول ﷺ قالت: «كان خُلُقه القرآنَ»(١).

لذا؛ فإن محاولةَ تدبُّر القرآن الكريم بعيدًا عن دراسةِ سيرةِ الرسول ﷺ محاولة ناقصة؛ لأنَّ الرسول ﷺ هو المثال القائم لكتاب الله -سبحانه وتعالى-، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٢ - ٥٣].

---

(١) أخرجه مسلم (٧٤٦).

ثالثًا: أخذ بيانِ النبيِّ ﷺ للقرآن الكريم:

وعليه؛ فإنَّ الواجبَ على مَن أرادَ أن يتدبَّرَ القرآنَ الكريمَ معرفةُ السنن القولية والعملية التي بيَّن الرسول ﷺ بها الكتاب، فقد جعل الله بيانه لرسوله ﷺ؛ كما قال -تعالى-: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

رابعــًا: معرفة أسباب النزول:

فبه يفهم المتدبِّرُ المرادَ مِنَ الآيةِ، ويستدلُّ على المعنى الحقيقي منها.

خامسًا: الإكثار من النظر في كتب التفاسير:

دراسةُ أَقوال السلف من الصحابة والتابعين وغيرهم من المفسِّرين لكتاب الله، وعلى رأسهم ابن عباس -رضي الله عنه-، فهو ترجمان القرآن، ومعلِّمه لعددٍ من التابعين، فقد حفظ القرآنَ صغيرًا، وتتبَّع أسبابَ نزولِه، وآتاه الله -تبارك وتعالى- فهمًا فيه بدعوةِ النبيِّ ﷺ له قائلًا: «اللهم فقِّهه في الدِّينِ، وعلِّمه التأويل»[1].

(١) أخرجه البخاري (١٤٣).

وكذلك ابن مسعود، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص رضوان الله عليهم.

سادسًا: العكوف على قراءة القرآن، والانقطاع إليه، وكثرة النظر والتأمُّل والتفكر والتدبُّر:

العكوف على القرآن، والقيام به آناء الليل وأطراف النهار، والتفكر في آياته، وتدبر معانيه، ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٤٦]، فإذا جلس الإنسان وحدَه، وتفكَّر في آيات الله، انفتح له فيها بابًا عظيمًا للفهم والعلم واليقين.

سابعًا: مدارسة القرآن:

وقد جاء في الحديث: **«ما اجتمع قومٌ في بيتٍ مِن بيوتِ الله، يتلونَ كتابَ الله ويتدارسونه بينهم، إلَّا نزلت عليهم السكينةُ، وغشِيتهم الرحمةُ، وحفَّتهم الملائكةُ، وذكرهم اللهُ فيمَن عنده»**[1].

فمدارسة القرآن تصنعُ العجبَ في إثارةِ معانيه، واستخراج كنوزه، والغوص في بحره.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩ و٢٧٠٠).

ثامنًا: أخذُ القرآنِ للعلمِ والعملِ:

فكم ممَّن قرؤوا القرآن ودَرَسوه وحَفِظوه، ولم تخالط بشاشة الإيمان به قلوبَهم، ولا رفعوا رأسًا به، وهؤلاء يكون القرآن حجَّة عليهم لا لهم؛ كما قال ﷺ: **«والقرآن حجَّة لك، أو عليك»**[1].

كم مِن أوعيةٍ حَفِظت القرآنَ ولم تهتدِ به عياذًا بالله، وكم من منافقين وكفَّار علموا آياته وكذَّبوا بها، ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢][2].



(١) أخرجه مسلم (٢٢٣).
(٢) قواعد في تدبر القرآن، لمحمود العشري، مقال على الشبكة العنكبوتية، موقع الألوكة.

19
التفكُّـــــر

وهو التأمُّلُ والتدبُّر في آياتِ الله وملكوتِه، والنُّظرُ في المخلوقات من حولنا، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:١٦٤].

أما التفكر في آيات الله، فهو نوع من التدبر، ومعنى من معانيه، وقد ذكر العلامة ابنُ سعدي -رحمه الله-: أَنَّ مِن أهمِّ وسائلِ التدبُّرِ: التأمُّلُ في معاني الآياتِ، وإعادة الفكر فيها مرَّةً بعد مرَّةٍ، حتى يفتح اللهُ عليكَ بتدبُّرِها.

قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون:٦٨].

وقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص:٢٩].

● قال الشوكاني -رحمه الله-: «وفي الآيةِ دليلٌ على أَنَّ اللهَ سبحانه إِنَّما أنزلَ القرآنَ للتدبُّرِ والتفكُّرِ في معانيهِ، لا لمجرَّد التلاوةِ بدون تَفكُّرٍ»(١).

● قال الميداني: «التدبُّرُ هو التَّفكُّرُ الشاملُ الواصلُ إلى أَواخرِ دلالات الكَلِمِ، ومراميهِ البعيدةِ»(٢).

وعليه؛ فإنَّ التدبُّرَ؛ هو: أن تقرأ القرآنَ بوعي وفكرٍ، فلا تكون القراءةُ بالشَّفتين واللسان فقط، بل يكون خشوعًا ومستقرًّا في القلبِ، ومسكنًا في العقل، حتَّى تؤتي القراءةُ ثمارَها.

● قال ابن قيم الجوزية: «ولهذا أنزلَ اللهُ القرآنَ ليُتدبَّر ويتفكَّر فيه، ويعمل به، لا لمجرد التلاوةِ مع الإِعراض عنه»(٣).

● ويقول أيضًا: «تحديقُ ناظرِ القلبِ إلى معانيهِ، وجمعُ الفكرِ على تَدبُّرِه وتَعقُّلِه هو المقصود مِن إِنزالِه، لا مجرَّدُ التلاوةِ بدون تَفكُّرٍ»(٤).

---

(١) فتح القدير ٤/ ٤٣٠، محمد بن محمد الشوكاني- ت ١٢٥٠، مكتبة المعارف.
(٢) قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل، عبد الرحمن حبنكة، ص١٠.
(٣) مفتاح دار السعادة، ص ٢١٥، ابن قيم الجوزية، مرجع سابق.
(٤) مدارج السالكين ١/ ٤١٥، ابن قيم الجوزية بتصرف، تحقيق محمد الفقي، دار الكتاب العربي، ١٣٩٢هـ.



20 التقييد

ومعناه الكتابة، وهو من الأمور المهمات لطالب العلم، خاصة مع ضعف الهمة، وقلة الضبط، وكثرة المشاغل، وشتات الفكر.

وهو منهج السَّلف الكرام -رضوان الله عليهم-، فقد كانوا -رضوان الله عليهم- يعتمدون على الحفظ فقط، دون الكتابةِ، بل وينكرون على مَن كتب وقيَّد.

أما اليوم؛ فقد قلَّ العلم، وقل الاجتهاد والضبط، فصار لا بدَّ مِن تقييدِ العلمِ وضبطِه.

ومن الأدلة عليه: قوله ﷺ: «**قيِّدُوا العلمَ بالكتابةِ**»[(١)].

وقوله ﷺ: «**اكتبُوا لأَبي شاةَ**»[(٢)].

---

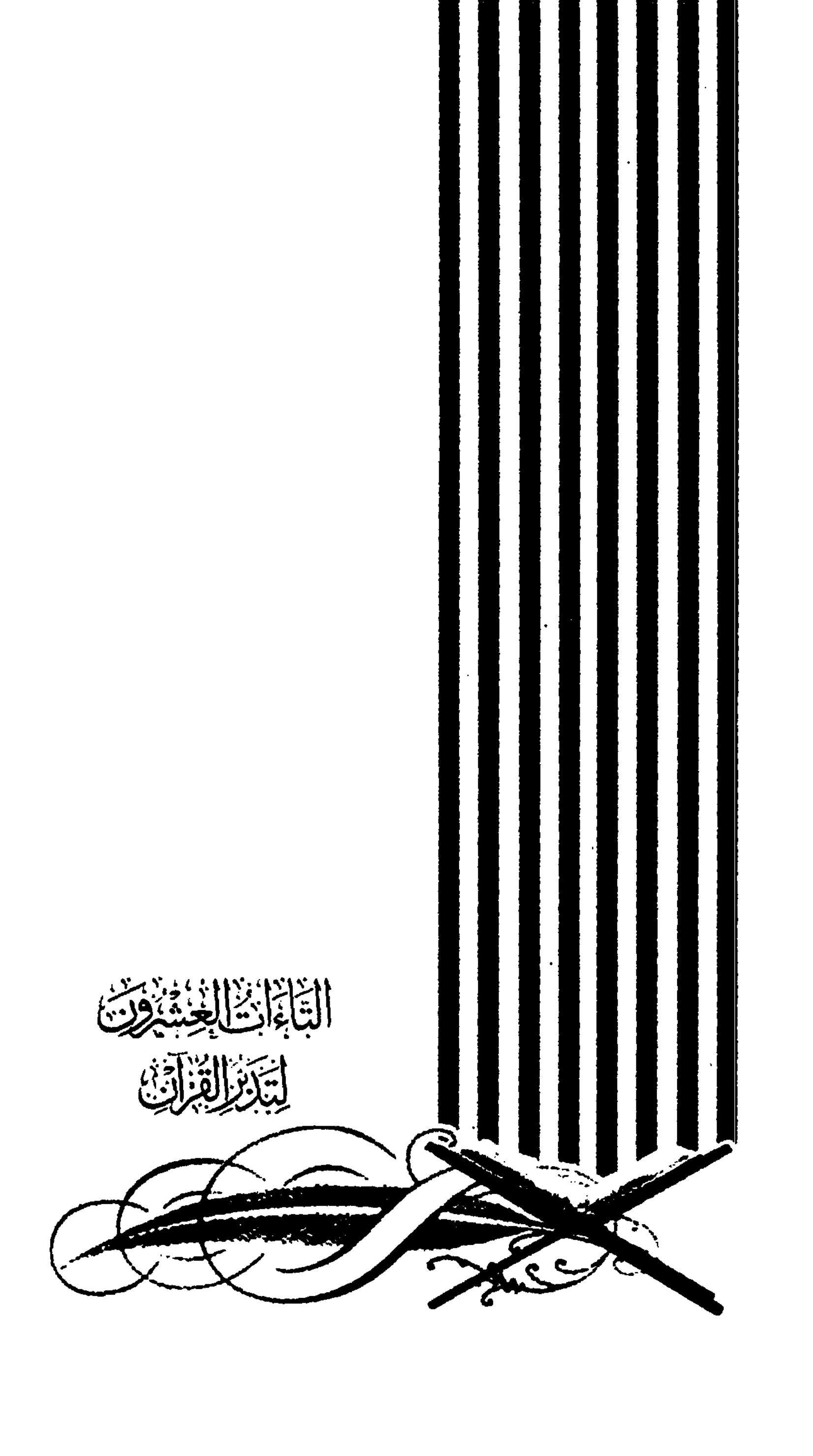
(١) روي من حديث أنس بن مالك، وعبد الله بن عمرو، وعبد الله عباس رضي الله عنهم، وصححه الألباني -رحمه الله-.

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٣٤)، ومسلم (١٣٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قال الخطيب الغدادي في مقدمة كتابه: «تقييد العلم»: «فإِنَّ اللهَ سبحانه جعل للعلوم مَحِلَّيْنِ: أَحدُهما: القلوب، والآخر: الكتب المدوَّنة، فمن أُوتِيَ سمعًا واعيًا، وقلبًا حافظًا، فذاك الذي علت دَرَجَتُه، وعَظُمَت في العلم مَنْزِلَتُه، وعلى حِفْظِه مُعَوَّلُه؛ ومَن عجزَ عنِ الحفظِ قلبُه، فخطَّ عِلْمَه وكتبَه، كان ذلك تقييدًا منه له، إذ كتابُه عنده آمنٌ مِن قلبِه، لما يعرضُ للقلوبِ مِنَ النسيانِ، وينقسمُ الأفكارُ من طوارق الحدثانِ».

وقد بسط الخطيب البغدادي في كتابِه الخلافَ بين السَّلفِ الكرامِ حولَ جواز تقييد العلم ومنعه، وذكر أدلة الفريقين، فمن أراد الاستزادة، فليرجع إليه.




التاءات العشرون
لتدبر القرآن



الخاتمــة

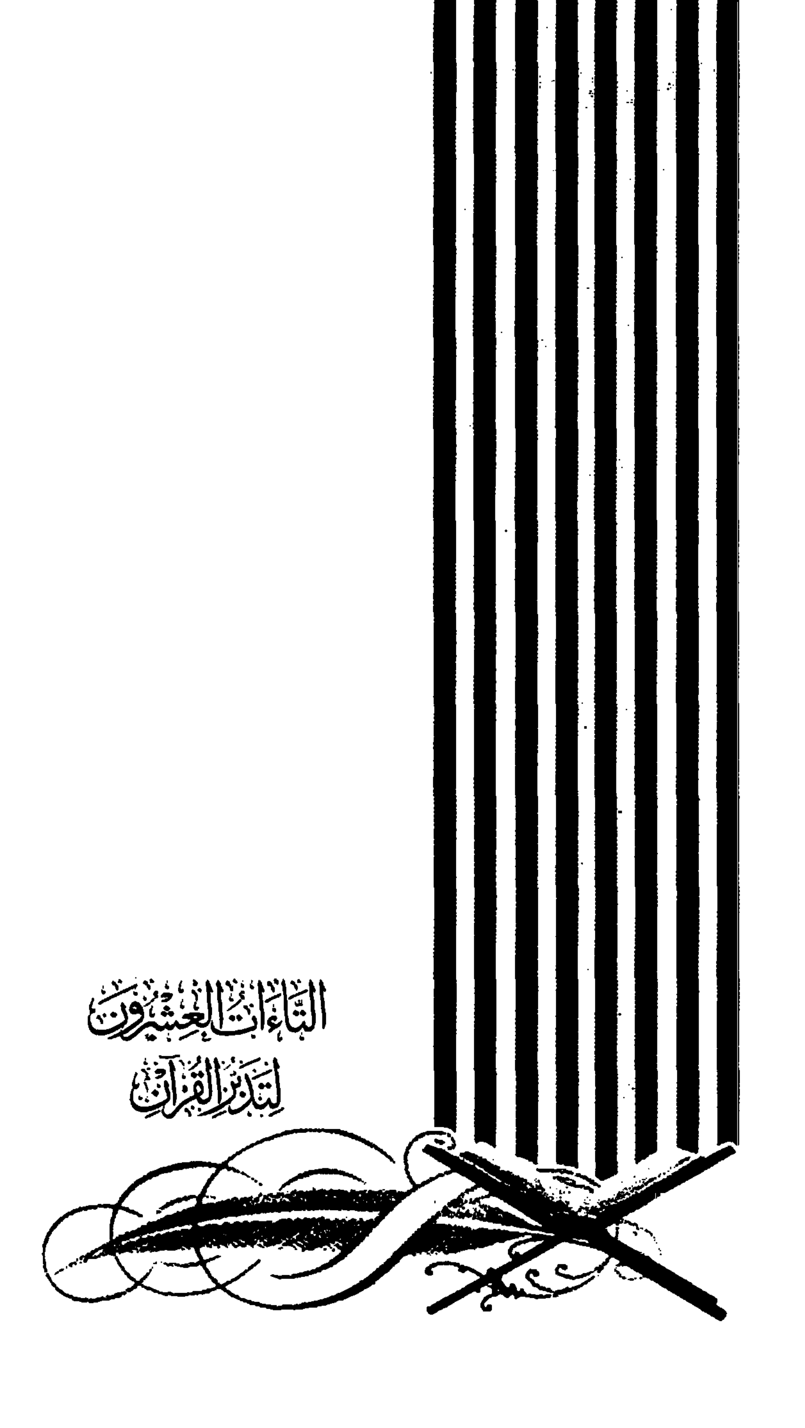
إن بلوغ هذه الغاية العظيمة، والرتبة الجليلة، وهي تدبر كلام الواحد الأحد «جل وعلا» منة لا تُدانى، ونعمة لا تُضاهى، إذ أن ذلك من توفيق الله لعبده أن يُطلعه على شئ من أسرار كتابه، وإذا كان الواحد يستوحش مما لا يعرف، فكيف يوفق عبد للالتذاذ بكلام مولاه، وهو لا يفقه معانيه ؟

فحري بكل مؤمن أن يجعل من هذه المفاتيح سببا للاغتراف من معين كلام ربه، والنهل من عذب مورده، لينال المأمول، ويحظى بركة الوصول، وأجر القبول،

جعلنا الله من حزبه المفلحين، وأولياءه الصالحين، وخدام كتابه، العالمين العاملين،

وآخر دعوانا أن الحمدلله رب العالمين .




اللقاءات العشرون
لتدبر القرآن

19
المراجع والمصادر

١- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.

٢- تفسير القرآن العظيم، للإمام إسماعيل بن كثير القرشي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

٣- تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل أي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفي سنة ٣١٠ دار القلم بدمشق الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٩م.

٤- الجامع لأحكام القرآن لأبي بكر عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٥- فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، دار

ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ.

٦- شعب الإيمان، للإمام البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

٧- صحيح الإمام البخاري لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري المتوفي سنة ٢٥٦ هـ طبعة المكتبة الإسلامية - اسطنبول تركيا ١٩٨١م.

٨- صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٩- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: عزت عبيد الدعاس، دار الحديث، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ.

١٠- السنن الكبرى، للإمام أبي بكر البيهقي، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٣هـ.

١١- شعب الإيمان، للإمام البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

١٢- صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق وترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

١٣- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة السلفية، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.

١٤- المستدرك على الصحيحين، للإمام أبي عبد الله الحاكم النيسابوري، دار المعرفة، بيروت.

١٥- المسند، للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: أحمد شاكر، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩١هـ.

١٦- المصنف، للإمام عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، طبع المجلس العلمي. المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

١٧- معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٨٩هـ.

١٨- معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م.

١٩- تاج العروس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى/ ١٤١٤ هـ.

٢٠- التعريفات، للجرجاني، طبعة: دار العلم للملايين، بيروت، د. ت.

٢١- مدارج السالكين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي بيروت/ الطبعة: الثانية، ١٣٩٣هـ.

٢٢- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٢٣- لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن، دار الفكر بيروت/ ١٣٩٩.

٢٤- مفتاح دار السعادة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية – بيروت، د.ت.

٢٥- مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، د مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الثانية، ١٤٢٧ هـ.

٢٦- الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م.

٢٧- شرح النووي على مسلم، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ.

٢٨- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٢٩- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٣٠- تفسير البغوي = عالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ.

٣١- فهم القرآن، الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٤٣هـ)، دار الكندي ، دار الفكر – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٨هـ.

٣٢- أخلاق أهل القرآن، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م.

٣٣- إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، دار المعرفة - بيروت.

٣٤- مختصر منهاج القاصدين، نجم الدين، أبو العباس، أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي، مكتبَةُ دَارِ البَيَانْ، دمشق، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.

٣٥- البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧م.

٣٦- التبيان في أقسام القرآن، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الفكر، د.ت.

٣٧- أضواء البيان، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ مـ.

٣٨- تلبيس إبليس، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

٣٩- مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية المتوفي سنة ٧٢٨ هـ تصوير الطبعة الأولى بدار الكتب العربية للطباعة والنشر بلبنان ١٣٩٨هـ.

٤٠- مختصر قيام الليل، أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي، باكستان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

٤١- الأذكار، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.

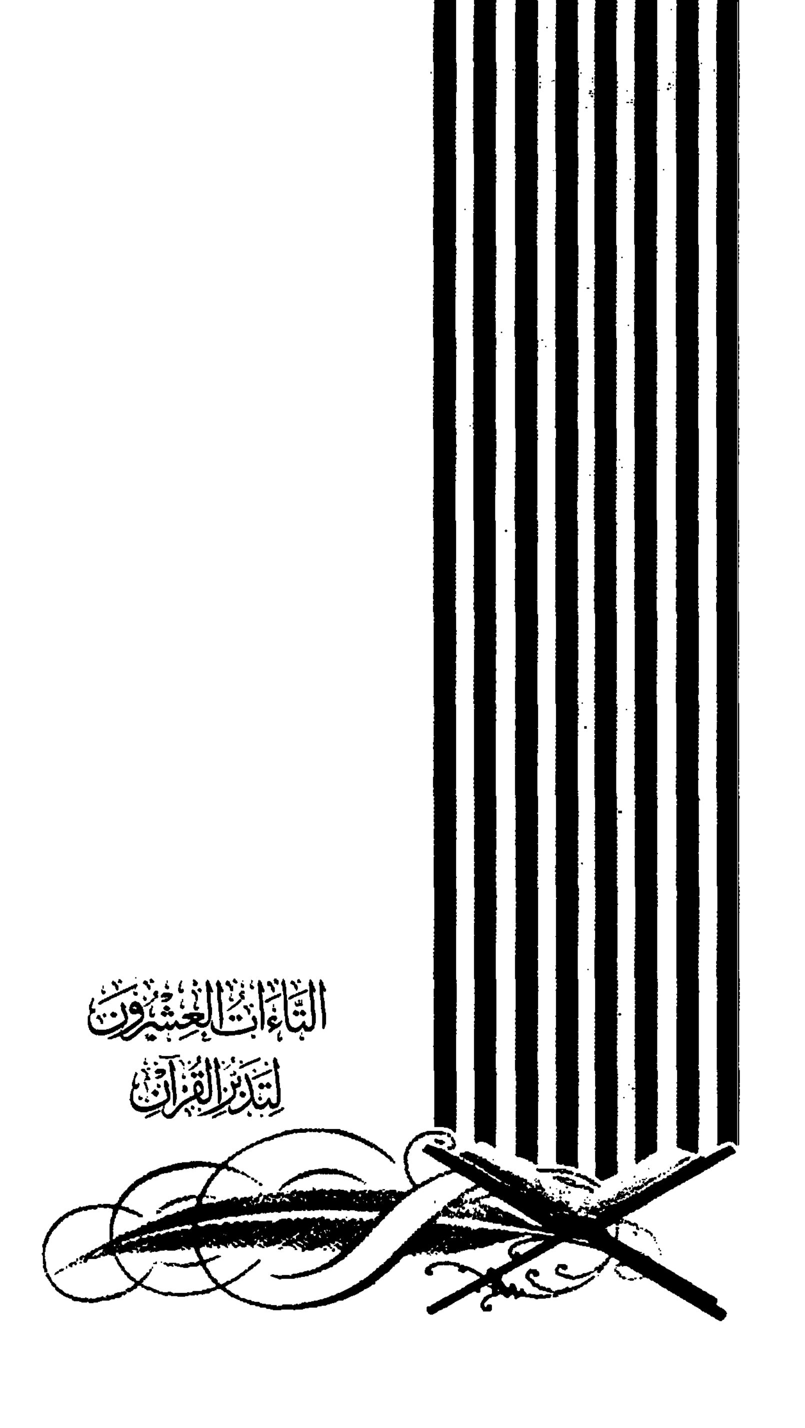
٤٢- فضائل القرآن للقاسم بن سلام، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي، دار ابن كثير (دمشق - بيروت)، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ -١٩٩٥م.

٤٣- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

٤٤- التبيان في آداب حملة القرآن، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت – لبنان، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٤٥- قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل، عبد الرحمن حبنكة، دار القلم - دمشق رقم الطبعة: الطبعة الرابعة ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩.




اللقاءات العشرون
لتدبر القرآن



الفهرس

